8 في الجحيم

دار الكنزي للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب : ٨ فى الجحيم
تأليف : مجموعة من الكتاب
تصنيف الكتاب : مجموعةٌ قصصيَّةٌ
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٩٠١ / ٢٠١٨
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 16 - 8

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

8

فى الجحيم

مجموعةٌ قصصيَّةٌ

مجموعة من الكتاب

دسوقي

د.منى عطار

ينتظرهم فى بداية كل عام دراسي، يقف بقوامه الهزيل ونتوءاته العظمية الممتدة فى كل تفاصيله، حتى يكاد يقسم من يراه أنه هيكل عظمي مغطى فقط بالملابس، لولا حدقتى عينيه اللتين تتحركان مع الطلبة ذهابا وإيابا. إنه عم «دسوقى» عامل المشرحة بكلية الطب، حيث يدرس طلبة الصف الأول والثانى مادة التشريح، لايتحدث مطلقًا، وهو مايضفى عليه من الغموض والرعب مايعبث بخيال الطلبة المستجدين، وهم نوعية من الطلبة شديدى الحرص على العلم ومتميزى الذكاء ولكن فاقدى خبرة الحياة.

إنه اليوم الأول لهم فى المشرحة، تلتف كل مجموعة من الطلبة حول طاولة عليها إحدى الجثث المسجاة للدرس عليها، منظر يراه كثيراً ويبتسم فى تلذذ، فهناك من يخر مغشيا عليه، ومن يحاول التماسك حتى يبدأ فجاءة فى الصراخ، ومنهم، أومعظمهم، يتعامل

على أنه مادة فحسب، ويظل على تماسكه، هؤلاء هم هدفه الدائم، مر نهار أول يوم بسلام.

ولكن فى الليل، ليل تلك الليلة كان لابد أن يبسط سيطرته؛ فهوالحاكم الأعلى لهذا المكان، أغلق عليهم جميع أبواب المشرحة، بدأت الجثث تترجل من على طاولاتها بأمر من «دسوقى» الذى كان عاريًا تمامًا كالجثث نفسها، يأمرها بالانقضاض عليهم بنفس حالتها، تتهدل عضلاتها وأوعيتها بل والاعضاء فى ترهل، تسحب كل جثة بقيتها فى تباطؤ، تتحجر أعين الجميع من الرعب، من استطاع الصراخ أخذ فى صراخ لاينقطع، ذهب البعض محاولا كسر الباب الرئيسي عنوة ولكن لافائدة، ومنهم من لم يحمله جسده فسقط مصارعا المسافة بينه وبين الجثث وقربها، والآخرون صمتوا ذعرا حتى كادت قلوبهم أن تنفجر رعبا، صرخة واحدة فى نهاية المطاف جمعتهم، ويقين تام أنهم موتى بلامحالة.

همهمة تعالت بين الطلبة فى الصباح، تبادلوا الأحاديث والتعجب، هل حقًا جمعهم حلم واحد ؟!، كل الدفعة ؟! ذلك الحلم الذى يصل إلى اليقين، ليس حلما، يستحيل أن يكون، فلقد عايشه الجميع كأنه واقع، ذهب البعض إلى الباب الرئيسى للمشرحة الذى حاول البعض فتحه ليلة أمس، ما أن وجدوا عليه آثار محاولات فتحة حتى أطلقوا سيقانهم للريح، لم يجد أحد تفسيرا لما حدث سوى التكذيب لكل التفاصيل، لابد أنه حقًا حلم، فلاتبريرٌ آخر يمكن أن يتواروا

خلفه للمضى قدمًا فى الدرس، يتبعهم «دسوقى» بنظرات ساخرة من خلال دخان سيجاره الرخيص الذى لا ينتهى أبدًا.

استقر فى يقين الجميع وبلاوعى أنه المسؤل عن كل مايريدونه فى المشرحة، فكان يبيع لهم العظام والأعضاء التى يدرسونها، وبأسعار مبالغ فيها، ولكنهم يعلمون دائمًا أنه لا مفر، كما أنه من المحال الوجود فى محيط المشرحة بعد الثانية ظهرا، هى قوانين وضعها «دسوقى» قانونا تلو الآخر بحادث أول ليله، وصمته، وعدد من الكلاب الغريبة الشكل والتصرف دائمًا ماتبدأ فى التجمع حوله وحول المشرحة بعد هذا التوقيت.

«هانئ» طالب رقيق الحال، لامجال لديه لدفع مليم واحد، كان يتأخر فى الدرس فى المشرحة، يستحثه دسوقى دائما «موعد إغلاق المشرحة»، حتى استثار حنق «هانئ « الذى قاد حملة طويلة بين أروقة الكلية ليمتد موعد إغلاق المشرحة ساعة أو ساعتين، وقد كان، بدأت أصوات الكلاب تعلو فى مواعيدها، أصوات ليست بالنباح، كأنها أحاديث بشرية تكاد تفسر لها المعنى، كان الجميع يرتعد خوفا ولا يظل دقيقة بعد الساعة الثانية، إلا هانى وثلة أخرى من الطلبة واتتها بعض الشجاعة، وإن كانت نظرات الصمت من دسوقى مغلقة بحديث كلابه والهدوء التام فى محيط المكان يرعد فرائصهم.

يوم

اثنان

ثلاثة

بضعة أيام مرت، بدأ عدد الطلبة الموالين لهانئ يتساقط رعباً، ظل هو واثنان فقط، يبتسم «دسوقى»: موعد إغلاق المشرحة يادكاترة.

يعلو رد هانى:

- ماتصبر يادسوقى، خمس دقايق ونخلص

يرد دسوقى فى حزم:

- الموعد إلى بعد الموعد، خلص يادكتور.

هانئ: ابقى قول لرئيس القسم، دماغنا.

تعالت أصوات الكلاب فى عنف، ارتجف زميلاه، قال أحدهم:

- هانى يالا بينا عاوزين ناكل.

رد فى حزم: روحوا انتم وهاتوا لى معاكم على. أما اكون خلصت.

خرجا عدوا فهناك حقًا من يطاردهما، لايرانه ولكنه هناك وحولهم فى كل مكان.

- تعال نرجع لهانى؟

- لا لا.

- هنسيبه لوحده ؟!

- لوحده فى إيه ؟! احنا خلصنا مراجعة وهو زمانه خلص.

- مش مرتاح.

- مش مرتاح إيه ؟! أنا مرعوب.

- طيب تعال نروح من بعيد نشوف بس المشرحة قفلت ولا هولسه جوة.

- من بعيد.

- من بعيد.

تسللا فى هدوء، أصوات رياح الشتاء التى تسبق العاصفة تحفهم، تتعالى أصوات الكلاب فى نهم، يقتربان من المشرحة، يشل خطواتهم هدوء غريب، ينظران عبر قضبان الحديقة المحيطة، تتجمع الكلاب، وسطهم دسوقى عار تماما بنفس هيئته يوم الحلم، يجتمعون على وليمة من لحم ودماء ينهشونها فى نهم وسعادة، كتب هانى ملقاة جانبًا على مقربة، يتوقف الجميع برهة، يتشممون الرياح التى حملت رائحتهما، يلوون رقابهم تجاههما، نظرة من دسوقى مباشرة على البعد البعيد تخترق أعينهم، اختفيا فى سرعة البرق رعبًا، لم يستعيدا وعى الزمن الا بعد عدة أيام، ذهبا للدرس أول الأسبوع التالى، ليجدا «دسوقى» كعادته أول كل أسبوع، يقوم بإخراج الجثث من الفورمالين ليرصها على طاولات الدرس، وبينما يضع بقايا أخر جثة بلا رأس، إنها جثة هانى، نظر إليهما بابتسامة ذات مغزى، سقطا صريعين، هرج ومرج

وصراخ ساد قاعة المشرحة، مابين طلبة وشرطة وإسعاف، أصوات الكلاب تعوى مرحًا، بينما حُملت الجثتان داخل سيارة الإسعاف تنعيهم سارينتها، اختفى دسوقى من المشهد، وبدأت الأصوات تخفت تدريجيا، معلنة انتهاء يوم بالمشرحة، ينسل الطلبة فى صمت كمن يسير فى جنازة، صوت دقات خفيفة يأتى من أحد الأركان، تنتصب كل حواس بهاء، كان الصديق المقرب لهانى، كم حزن على اختفائه، يزداد الصوت تدريجيًا كمن ينادى باسمه: بهاء، بهاء.

تتبع الصوت خيفة، أخذه إلى تليفون محمول ملقى بين شجيرات مقصوصة وملقاة بإهمال على أرض الحديقة، ومضة ضوء بين الفينة والفينة، ترشده إلى المكان الصحيح بينما يخف الصوت: يا الله؟! إنه هاتف هانى، كيف هو ملقى هنا ؟!

نبحة كلبة جعلته يرتعد مختطفا هاتف هانى ومطلقًا ساقيه للريح بسرعة تفوقها.

أغلق باب غرفته متجاهلا نداء والدته المستمر لتناول الغداء، فلقد استمر الهاتف فى النبض والاهتزاز بصورة عصبية، بدأ بهاء يتصفح أحدث محتويات الذاكرة، صوت صراخ هانى يصدر من الهاتف، لقد تم تصوير مقتل هانى كاملًا، الصراخ، الكلاب، دسوقى، يا إلهى، هانى كم تعذبت، كم أخبرتك أن هناك شيئا غامضا مخيفا يحيط بدسوقى؟! دسوقى يقف عاريا ممسكا برأس هانى ينهشها، يلتفت نحوالكاميرا، جزع صارخا صرخة اختلطت بصوت من كان يقوم

بالتصوير وبهاء، أغلق بهاء الهاتف مرتعدًا، ألقاه من يده، أخفى وجهه بين يديه لا يصدق ما رأى، يشم رائحة لزجة ثخينة، يحس بها على وجهه، نظرة إلى يده جعلته ينتفض فى ذهول، إنها مخضبة بالدماء، تكاد تقطر منها قطرات دماء، غسل يده على الفور وانطلق متتبعًا خريطة أظهرها الهاتف، دار به السائق مايقرب من ساعة، ترك خلالها الطرق المضيئة، لتنزلق السيارة وسط منطقة كانت أثرية، ثم احتلتها العشوائية، مخترقة مقابر علية القوم فى عهود سابقة، بدأ الظلام يحل، والشوارع تضيق إلى أزقة وحارات استعصى السير فيها بالسيارة، ترجل بهاء مجبرًا، لايدرى لم لايتوقف، قوة تسحبه بإصرار، تزداد رجفة الهاتف، ماعاد يدرى هل يكمل أو يتوقف، لحظة وتوقف منزويًا تحت عمود كهرباء مظلم بلا مصباح ليتخذ قراره، بالكاد يرى رجلا نحيلا يجر أمامه عربة يد، يقترب رويدا رويدا، تقترب رائحة نفاذة مصاحبة له، يدركها جيدا، يزداد اهتزاز الهاتف، يكاد تخترق أذينه صرخات هانى، إنه دسوقى يتبعه عدد من الأطفال، يمدون أيديهم محاولين اقتناص بعض مما بداخل العربة، ترى ماذا بداخل عربة اليد، ينهرهم دسوقى بنظرة حادة، يزومون فى غرابة، يتجه الجميع نحو منزل متهالك، يبدو على شرفته العليا آثار حريق قديم، لم يهتم أحد بإزالتها، يختفى الجميع داخل المنزل، يتجه بهاء فى هدوء وحرص إلى الباب، إنها تعليمات يفرضها الهاتف الحى، يصدر الباب القديم الصدئ صوتًا كالنواح، ضاعت تفاصيله بين الأصوات التى يصدرها الأطفال، لم ينتبه له أحد، خفوت الضوء

يزيد الرعب فى قلبه، إنه دسوقى وقد قام بنزع ثيابه كاملة، ماعاد يبدو آدميا وهو ينتزع من عربة اليد أعضاء مختلفة من جثث بشرية، يلقى بها فى الهواء، يقفز كل طفل يلتقطها، يتحول فى كل قفزة إلى كلب شرس، أعضاء وقفزات وأطفال يتحولون إلى كلاب شرسة تلتهم الجثث فى اعتياد، نغمة رضاء تسود المشهد، تصل إلى حد التلذذ، الدماء تلطخ المكان، فقد استمر حفل العشاء الدموى حتى انتهت كل محتويات العربة، تخمة أصابت الكلاب، يستلقون فى هدوء حتى النعاس، ليعودوا أطفالا صغارا كما رآهم أول مرة، يذهب دسوقى إلى غرفة فى المواجهة، يسير فى خطو أسطورى، عارٍ تماما، تتساقط الدماء من بين يديه، يلمع جسده غير النحيف كالمعتاد، فلقد برزت عضلات جسده بشكل رياضى متناسق، أضاء ضوءا خافتا، أغلق باب الغرفة، أصوات موسيقى هادئة تنبعث، أبخرة عطور تتسلل من الغرفة، همسات حميمية تترامى إلى مسمع بهاء، يقترب فى حذر، يتلصص من فرجة بأخشاب الجدار المتهالك، يالها من فتاة رائعة الجمال، كيف تقبل أن تكون زوجة لمثل دسوقى ؟! تتثنى فى دلال عاشق، ابتسامة وديعة توجهها لدسوقى الذى أضحى شابا كامل الفتوة، يودعها كل عنفوانه ورجولته، حتى تذوب فى قمة النشوة، وتنتفض فى إشباع حقيقى، يتورد جسدها من الآنفعال، يصير أكثر دفئًا وجمالًا، إنها الآن تستحق أن. تؤكل.

انهال عليها بساطور حاد متعرج الشفرة، تختلط ملامحها بدمائها وصرخاتها، يصرخ من النشوة وهو يلتهمها، صرخات من الهاتف

أن ألقه وامض بأقصى سرعة، انتهت مهمتك، لم يتمالك نفسه، ألقى الهاتف فى وجه دسوقى الذى التفت للصوت، أخذ بهاء يعدو على سلالم المنزل، لا تنتهى كأنها تكرر نفسها، لا تنتهى، الحقونا، صرخات لم تتجاوز حلقومه، يزيد سرعته، يزداد عدد السلالم، صوت انفجار هائل واشتعال النيران أطاحا به ليسقط مغشيا عليه خارج المنزل.

صخب يحيط برأسه، لايرى سوى وجوه تتضح تدريجيا، مع همهمات وتساؤلات.

- من هذا؟!

- لا ليس من هذا الشارع.

- ترى ماذا كان يفعل هنا؟

- كيف دخل المنزل ؟

- لماذا أقدم ع الآنتحار من هنا؟!

- انتحار ؟! تساءل بهاء.

وأكمل فى تسارع وتلعثم: إنه دسوقى، الأولاد، الكلاب، طاردنى، أغيثوها، لاتتركوه يقتلنى، هناك هناك.

وأخذ يشير بهستيرية إلى الدور العلوى للمنزل المتهالك، هناك هناك.

ليُجيبه المارة: ليس هناك أحد، البيت مهجور من قبل أن تأتى أقدامنا إلى هذا الحى.

- لا ليس كذلك، جميعهم هناك، صدقونى.

تمتم المارة: لاحول ولاقوة إلا بالله، لابد أنه جُن، أو لعلها أثار الارتطام بالأرض من الدور الثانى.

صوت سيارة الإسعاف يصل وهوفى شدة هياجه، حاولوا السيطرة عليه، ماهى إلا ثوانى وقد شعر بخدر فى كامل جسده، لقد تمكنوا منه بحقن مخدر ذهب بوعيه ليدخل فى غيبوبة تامة، أفاق منها فى غرفة مستشفى، ماعاد يدرك مالواقع وما الحلم، متأكد هو مما رآه رغم ماينفيه الجميع.

دخلت الممرضة الشابة تتابع علاجه، تضخ دواء تلو الآخر فى قارورة المحلول المثبتة على الحامل وتصب فى وريده، إحساس غريب يراوده، شلل تام بدأ مع سريان المحلول، تطلع إلى الممرضة ليشكو ألمه: يا إلهى إنها هى، كيف وقد رأيته يقتلها، ينهشها ؟!

حاول بما تبقى له من صوت أن يصرخ وهو يشير إليها، التفتت إليه مبتسمة فى انتصار، وبرقت عيناها باتجاه الطبيب القادم من باب الغرفة، إنه دسوقى، تحجرت عيناه رعباً، تبادل دسوقى والممرضة نظرة يعلمها تماما، دخل الطبيب الغرفة، أغلق الباب وأطفأ النور.

***

ما حدثَ وما سيحدث

منار خليل

ابتسما له بعدما لوح لهما ثم انتبها لما تقوله المعلمة في الفصل؛ إنهما علي وسهر طلاب المدرسة الابتدائية البالغين من عمرهما الثامنة.

***

تقع المدرسة الابتدائية في منتصف المدينة، بجانب المشفى المهجور الذي لم تقرر وزارة الإسكان هدمه يوما ما فتركوه كما هو علهم يستطيعون ترميمه مرة أخرى كمستشفى عام يقع في منتصف المدينة.

كان ذلك منذ عشرات السنين قبل أن تتبدل الشوارع، وتتغير المنشآت، وتُعمر الأراضي، فيأتي سكان جدد للمكان، وتبنى المدرسة الابتدائية.

لطالما اعتاد الأهالي تحذير أبنائهم من هذا المشفى، فألفوا فيه الحكايات الخيالية، والقصص الوهمية التي لم تحدث يوما ما.

***

دق جرس المدرسة معلنا معه انتهاء اليوم الدراسي وانصراف الأطفال إلى مساكنهم، فأمسك علي بيد ابنة جيرانه سحر سائرا بجانبهم صديقهم سالم، منتظرين حافلة المدرسة التي ستنقلهم إلى منازلهم.

مرةً أخرى على التوالي يبتسمان ثم يلوحان للرجل الغريب الذي يقف في نافذة الطابق الخامس بالمستشفى.

«لمن تلوحان؟» قال سالم.

«انظر هناك، أحدهم يلوح لنا، يبدو أنه مريض في المستشفى». قالت سحر.

«لكن لا يوجد أحد هناك يا أصدقاء».

«يبدو أن عليكَ تبديل نظاراتك الطبية يا سالم». قال علي ساخرا منه، فضحكت سحر بصوت عال.

«لا أرى شيئًا ما يستدعي الضحك، كما أنه حقا لا يوجد أحد يقف في النافذة، ولقد حذرني والداي مرارًا من هذا المبنى قائلين بأنه تقطنه العفاريت».

ضحك سحر وعلي مرة أخرى ساخرين من كلام سالم، ثم قال علي بصوت مليء بالتحدي والاستهزاء:

«حسنا، سأدخل المستشفى حتى ألقي التحية على العفاريت، هل يحب أحدكما أن يأتي معي؟»

«أنا سآتي معك». قالت سحر سريعا.

«لا يا أصدقاء، لا تخاطرا أرجوكما، فسيصيبكما السوء أن لعبتم مع العفاريت، لقد قال لي أبي ذلك».

«لا يوجد ما يدعى بالعفاريت يا سالم، وسنثبت لك هذا، وسنجعل الرجل الذي لوح لنا يأتي إليك ليخبرك هذا بنفسه».

ودعا سالم ثم ولجا معا المستشفى.

«سالم عزيزي، هيا بنا لقد أتت الحافلة، أين أصدقاؤك سحر وعلي؟» قالت المعلمة مريم.

«لا أعلم».

«حسنا، فلتذهب أنت للحافلة وسأبحث أنا عنهم، لعلهم يلعبون في فناء المدرسة».

مرت ساعة ولم تجدهم المعلمة مريم، ولم يجرؤ سالم مطلقًا على إخبار أحد ما أين هم ملقيًا ناظريه نحو نافذة الطابق الخامس بالمستشفى على أمل أن يرى الرجل الذي لوح لهما، أو يراهما.

طيف أحمر يظهر ثم يختفي سريعا فتملك الخوف سالم فور رؤيته فظل يصرخ حتى وقع مغشيا عليه.

***

«اختفاء طفلين اثنين من المدرسة الابتدائية، وجار التحقيق مع الإداريين». كان ذلك أول خبر في الصفحة الأولى بين كل الجرائد صباحا».

أتى رجال الشرطة للمدرسة حتى يتخذوا تحريات الاختفاء.». أيتها المعلمة مريم، هل يمكنكِ أن تأتي معنا قليلا حتى نستجوبكِ؟»

«حسنا سيدي».

«متى رأيتِ الطفلين آخر مرة؟»

«لقد رأيتهما نهار أمس يلعبان مع صديقهما سالم في فناء المدرسة في تمام الساعة الثانية عشر ظهرا».

«هل رأيتهما قبل مجيء الحافلة التي تنقل الطلاب لمنازلهم؟»

«لا، لكنني رأيت سالما يقف وحده على غير العادة، وعلى وجهه علامات التوتر لكنني لم أبال لهذا، فسألته عن صديقيه فأخبرني أنه لا يعلم عنهما شيئا».

«أكملي».

«أسرعت بالدخول للمدرسة بحثا عنهما، فلم أترك طابقًا أو فصلا إلا وبحثت فيه عنهما، ثم هاتفت أسرتيهما فأخبراني أنهما لم يذهبا للمنزل».

«ثم ماذا؟»

«ثم أفزعني صراخ سالم، فأسرعت إليه فوجدته قد وقع مغشيا عليه، فأخذت أؤدي دوري في الإسعافات الأولية جيدا، وحينما استفاق سألته عن سبب صراخه لم يجبني، وأخذ يبكي وأنه يريد العودة إلى منزله».

«حسنا، شكرا لكِ، هل يمكننا التحقيق مع سالم؟»

«سالم طفل صغير، لن يفهم شيئا مما نفعله».

«أحضريه إلينا إذا».

«حسنا».

***

«مرحبا يا سالم، هل يمكننا أن نتحدث إليك قليلا؟» قال المحقق.

«نعم». قالها الصغير بصوت مرتجف.

«متى كانت آخر مرة قد رأيت فيها عليا وسحرا؟»

«لا أعرف».

«تقول المعلمة مريم إنكم كنتم تلعبون معا في فناء المدرسة».

«لا أعرف».

«حازم يا صغيري، لا تخف؛ إنهم هنا لمساعدتنا في العثور على أصدقائك». قالت المعلمة مريم.

«لا أعرف، أنا لا أعرف شيئا». قالها صارخا في وجوههم ثم بكى كثيرا فلم يكمل المحقق الاستجواب، ورحل.

***

أمسكت المعلمة بيد الصغير ثم ذهبت به إلى مكتبها تريد أن تطمئن عليه، وتجعله يهدأ قليلا؛ فقد كان بحال سيئة جدا.

«اهدأ يا صغيري، لا بأس سوف نعثر عليهم، لا تقلق».

«لن نعثر عليهم أبدا».

«لا، سيبحث رجال الشرطة جيدا، وسيعثرون عليهم قريبا».

«لقد قُتلا».

«ماذا؟!»

ارتجف جسد الصغير بشكل كبير، وصار وجهه أكثر شحوبا، ثم قال بصوت متردد: «أشعر أنهما قد قتلا».

«سالم يا صغيري، هل تخفي شيئا ما، أخبرني هيا لا تخف».

«لا، أنا لا أخفي شيئا، لا أعرف شيئا، لا أعرف».

«حسنا، فلتهدأ لا تصرخ يا صغيري، لكن أخبرني أن كنت تعرف شيئا ما، وسأساعدك، ولن أخبر أحدا أبدا».

«لن تخبري أحدا أبدا حتى العفاريت؟»

نظرت إليه مريم متعجبة من كلامه لكنها استأنفت قائلة: «لن أخبر أحدا أبدا حتى العفاريت!»

«لقد تحداني علي وسحر أن يدخلا المشفى المهجور حتى يثبتا لي ألا وجود للعفاريت بها، ولم يعودا بعدها أبدا، ولن يعودا بعد الآن لأنهما قد قتلا».

أطرقت المعلمة برأسها تحثه على استئناف حديثه، فقال: «بينما كنت أسترجع دروسي ليلة أمس، سمعت صوتا ما مصدره خزانة الملابس، فاقتربت منها متوجسا فوجدت دماءً تسيل على أرضية الحجرة بجانبها، حاولت الصراخ لكن صوتي كان مكتوما إلى أن افتتحت الخزانة وخرج منها علي وسحر وهناك خناجر قد غرست برأسيهما، أخذت في الابتعاد بضع خطوات للخلف، وأخذا هما يقتربان مني أكثر حتى أمسك علي برقبتي مهددني بأنني لو أخبرت أحدا ما قد حدث لهما فسوف يقتلني».

أتم كلماته تلك، ثم لوح له الرجل من نافذة الدور الخامس بالمشفى المهجور، فشهق سالم ثم أشار بإصبعه إليه، رأته المعلمة مريم فصرخت ثم سارعت بالخروج من الغرفة تجر الصغير وراءها.

***

انتهى اليوم، فحل الليل ووقفت مريم أمام مرآتها تفكر في كلمات الصغير سالم، وما السر وراء هذا المريض الذي قد لوح لهما اليوم، وهل كان مريضا حقا أم عفريتا من عفاريت المستشفى.

أغمضت عينيها ثم قالت في نفسها: «لا يا مريم، إنها حكايات نقصها على الصغار فقط لكيلا يقربوا ذلك المكان، فكيف ستصدقينها!»

«ليست خرافات، إنها الحقيقة». صوت ما وراءها يشبه فحيح الأفاعي.

تجمدت مكانها، ولم تستطع الحركة ثم أخذت تفتح عينيها شيئا فشيئا فرأت في المرآة انعكاسا لامرأة غيرها.

كانت امرأة ذات شعر مجعد أشعث، ووجه شديد الشحوب تحمل عيناً واحدة، فمها مشقوق حتى أذنيها، وهناك قرنان صغيران على رأسها، تحمل بين يديها حقيبة سوداء بها ثقب صغير تخرج منه قطرات الدم منسكبة على أرضية الحجرة.

«من أنتِ؟» قالت مريم بصوت تملكه الفزع.

«أنا قاتلتكِ أن لم تلبي ما سآمركِ به؟»

«ماذا تريدين؟»

«إياكِ أن تخبري أحدا بما قصَّه عليكِ سالم، أو مارأيته عند نافذة المستشفى صباح اليوم».

«حسنا، لكن لماذا؟»

«لأنني سأقتلكِ أن سمع أحد ما عنا، سننتظركِ في المشفى غدا».

«لا، لن ألج هذا المكان أبدا».

«ستأتي، وإلا سنقتلك، وما أيسر هذا لنا».

«لن تفعلوا أبدًا».

فتحت حقيبتها السوداء ثم ألقت أمامها رأس الصغير حازم، ففزعت ثم وقعت مغشيا عليها.

«لقد قُتل صديق الطفلين المختفيين ليلة البارحة، ووجدوا جسده دون الرأس في غرفته». خبر آخر اعتلى الصفحات الأولى من الجرائد صباح اليوم.

***

«فيم أنتِ شاردة يا مريم؟» قالت صديقتها سلمى.

«إن قلبي ينفطر ألما وحزنا على الصغير سالم، وأصدقائه».

«إن الأمر مؤلم حقا، لكن لا تقلقي سيكون كل شيء على ما يرام قريبا».

***

انتهى اليوم الدراسي، ووقفت مريم أمام باب المدرسة متأملةً نافذة الطابق الخامس بالمشفى المهجور فلوح لها الرجل، ازدردت ريقها ثم اغرورقت عيناها بالعبرات، واقتربت من باب المستشفى.

ما أن اقتربت حتى اشتد الهواء فدفعها إلى الداخل رغمًا عنها، وانغلق الباب بعدها بشكل مفاجئ.

وقفت وأمامها ردهة فارغة إلا من مقعدٍ خشبي صغير، وخزانة أوراق مفتوحة يوجد بها كتاب ما.

دفعها الفضول أن تقترب منها فأمسكت بالكتاب لتقرأ عنوانه «ما حدثَ وما سيحدث» ثم فتحت الصفحة الأولى فوجدت سطورها قد كتبت بحبر أحمر.

«مرحبا بكِ يا مريم، لقد انتظرتكِ طويلا، وكنت أعلم أنكِ ستأتين إلى يوما ما فيروينِي دمكِ».

ألقت بالكتاب نحو الخزانة ثم حاولت الهروب نحو الباب لكنها لم تجده، فقد تحول الباب جدارا لا يمكن لأحد ما من ولوجه أو الخروج منه، فقالت صارخةً: «تبا لكم، ماذا تريدون مني؟ ومن أنتم؟»

لا جواب.

بكت كثيرا حتى أتاها علي وسحر بنفس الهيئة التي قد وصفها لها سالم، مطعونين بالخناجر في رأسيهما والدم ينساب منهما، ففزعت منهما، وحاولت الابتعاد عنهما فأخذا يسخران منها، ويضحكان على ما حل بها.

«هل يمكنكم إخباري ما الذي قد حل بكم يا صغاري، وما الذي جاء بي إلى هنا؟» فتلاشا من أمامها سريعا بعدما غرسا جسديهما في أحد الجدران.

«مرحبا بك يا مريم، أنا من جئت بك إلى هنا».

التفتت وراءها نحو مصدر الصوت، فتجمد جسدها، وأخذت ترتجف بشكل أكبر، إنه هو ذلك الرجل الذي قد لوح لها من نافذة الطابقِ الخامس.

«ماذا تريد؟»

«أريد دمكِ؟»

«لماذا؟»

«حتى أرتوي فيشفى غليلي، وأسامح أباكِ».

«أبي! ما بال أبي؟ لقد توفي في حادث منذ ثلاث سنوات».

«لسنا في استجواب رسمي يا سيدة مريم، لكن دعينا نعقد اتفاقا».

«حسنا، ما هو؟»

«ستأتي إلى كل يوم بأحد أطفال المدرسة في مقابل ألا أقتلك».

«ماذا!»

«لا أريد جوابا منكِ الآن، سأتركك تفكرين حتى غد، وإن لم تأتِ إلى بأحدهم بعد انتهاء اليوم الدراسي فسأقتلك يا مريم، يمكنك الآنصراف الآن». سارت بخطى متثاقلة نحو الباب الذي ظهر مرة أخرى.

«انتظري يا مريم، يمكنك اقتناء هذا». قال الرجل ملقيا إليها بالكتاب التي قرأت صفحته الأولى.

***

سارت مريم في الشوارع هائمة على وجهها، تتمنى أن لو كان ذلك كابوسا ستستفيق منه، تفكر في الرجل، الكتاب الذي تحمله، سحر وعلي، ورأس حازم التي توجد في غرفتها، وأبيها! ما شأن أبيها وهذا الرجل، لماذا يريد أن يقتلها ليسامحه!

دخلت منزلها، فوجدت أصوات التلفاز تتعالى شيئا فشيئا، كيف ذلك! فهي لم تشاهد التلفاز قبل خروجها من المنزل، كما أنه لا يوجد أحد ما يسكن معها.

اقتربت في وجس، فسمعت أصوات الأواني تتعالى في المطبخ، فأسرعت تجاهه حتى وجدت قطا أسود يعبث به، كيف جاء إلى هنا! من الذي فتح له باب المنزل! لماذا يبتسم لي!

«مرحبا يا مريم» قال القط الأسود.

«ماذا، هل قلت لي مرحبا! هل تتحدث؟»

«نعم، فأنا لست قطا أسود وإنما نفر من الجن».

ازدردت ريقها بصعوبة بالغة ثم قالت: «وماذا تريد أنت الآخر؟»

«أنا هنا رقيب عليكِ حتى لا تهاتفي أحدا وتخبريه عنا، وإن حاولت التفكير في هذا ولو للحظة واحدة فسأقتلكِ».

«لن أخبر أحدا، لكن هل يمكنك تركي وشأني في منزلي، يكفيني ما حدث أرجوك».

«لا، سأنام على المقعد المجاور لسريرك، وسأرافقك في كل مكان، ولا تنسي قراءة الكتاب، والتفكير فيما أخبرك به سيدنا».

«حسنا».

***

دقت الساعة الثانية صباحا، وما زالت مريم لا تستطيع النوم، فالخوف أذهبه عن جفونها للأبد، فنهضت وخرجت للصالة حاملة بين يديها ذلك الكتاب، وما أن جلست على المقعد المجار للتلفاز حتى وجدت أمامها القط الأسود يبتسم لها ابتسامة ماكرة، ففزعت منه ثم قالت: «ظننتك نائما».

«لا ينام الجن، ولست هنا لأنام بل لأراقبك».

«ما الذي تخفيه وراءك؟»

«رأس سالم، لقد جاء ليشاركنا السهر والقراءة».

ضحكت مريم حتى البكاء ثم قالت: «لوأردتم بي الجنون فإني أؤكد لكم أنكم قد فعلتم هذا حقا».

شرعت في قراءة الصفحة الثانية:

«مريم، أيتها الروح الطيبة ابنة الروح الشريرة جدا، أن أباك لم يمت في حادث كما يظن الجميع، بل إننا من قتلناه».

ألقت بالكتاب إلى الأرض ثم اقتربت من القط الأسود تريد قتله انتقاما لما حل بأبيها بسببهم، ولكن سرعان ما تلاشى جسده بين يديها فلم تجده.

بكت كثيرا حتى تحركت رأس سالم من مكانها وأخذت تقترب منها تحدثها:

«لا تحزني يا معلمة مريم، وافعلي ما أمروكِ به وإلا سيقتلونكِ حقا، فإنهم لا يمزحون».

«كيف قتلوك يا صغيري؟»

«قتلوني بعدما عدت من المدرسة، ذلك لأنني قد أخبرتك بما قد حدث، ولقد حذروني مرارا قبلها ألا أخبر أحدا، لكنكِ أصررتِ على هذا فأخبرتكِ».

«أعتذر يا سالم، سامحني أرجوك».

«سنسامحكِ، ونسامح والدكِ بعدما توافقين على عرضنا». قالها القط الأسود بعدما ظهر مرة أخرى.

«هذا مستحيل، تريدون أن آتي لكم بأطفال المدرسة حتى تقتلوهم، وترتووا من دمائهم! لماذا! لماذا تفعلون هذا، أخبرني».

«لم يأمرني سيدنا بإخبارك، ومهمتي هنا هي المراقبة لا أكثر، وإن حاولتِ الاقتراب مني أو قتلي مرة أخرى فسأسارع أنا بقتلكِ لا سيدي».

***

انبثق نور الشمس معلنا حلول الصباح، فاستقلت مريم سيارتها ذاهبة إلى المدرسة برأس متثاقل مليء بالأفكار حاسمة قراراها في أمر الأطفال.

«مرحبا يا مريم، كيف حالكِ اليوم؟»

«أنا بخير يا سلمى، أو سأكون بخير لا أعلم».

«ماذا بكِ؟»

«سأقتل قريبا يا سلمى».

«ماذا تقولين؟»

«لا يهم، المهم الآن هو أن تخبري الناس بعدي أنني لم أكن سيئة يوما ما، ولم أشأ أن تسير الأمور كما سارت أبدا، ولو عاد بي الزمان ما كنت سأعمل في مدرسة تقطن بجانب مشفى مهجور مليء بالعفاريت».

«مريم، لا يوجد في المشفى عفاريت، إنها قصص وهمية نرويها للصغار».

«أخبريهم أنها لم تكن وهما يوما ما، وأن ما يحدث داخل المشفى الآن هو ما أودى بحياتي، وبحياة الصغار قبلي».

«مريم، يبدوأنكِ مرهقة قليلا ولم تنامي جيدا ليلة أمس، سأذهب لأحضر لكِ بعض القهوة».

«لا يا سلمى، سأرحل أنا الآن إلى عالم الأموات، ولن أعود أبدا، لا أعلم كيف سأموت، لكن ما أعلمه الآن أن القتل أمر محتوم علي لا رجوع فيه أبدا، وأنكِ القادمة، فلن يتركوكِ يا صديقتي».

أطرقت سلمى رأسها، وشعرت بدوار شديد حولها، فما زالت تحاول استيعاب كلمات مريم، وماذا تعني بأنها ستكون القادمة، وما تلك الثقة التي تتكلم بها، هل هي حقا صادقة أم أصابها الجنون!

حاولت التماسك أكثر ثم قالت: «لا تقلقي يا مريم، سيكون كل شيء على ما يرام، يمكنكِ الآن أن تعودي للمنزل وتأخذي قسطا من الراحة، وفي الغد ستكونين بأفضل حال».

«لا تصدقيني، أليس كذلك! لا يهم، فغدا سأكون أنا عنوان الصفحة الأولى بالجرائد».

***

لم تشأ الدخول إلى المستشفى، وفضلت أن تقتل في المكان الذي عاشت فيه مع أبيها بعد وفاة أمها وهي في الخامسة من عمرها، فرحلت إلى منزلها مودعة الشوارع، والمباني، والمدرسة، وحتى المشفى، مودعة كل ما كان له معها ذكرى ولو كانت بسيطة جدا.

دخلت المنزل، فوجدته هادئا جدا، وعلى أرض الصالة توجد رأس سالم، وجثمان الصغيرين سحر وعلي كأنهم دليل على أنها القادمة، فولجت غرفة أبيها تحتضن أشياءه مخبرة إياها أنها قادمة إليه، وأنها ستشتاق المكان كثيرا، ولم ترد أبدا أن تكون هذه النهاية، ولا تعرف ما الذنوب التي اقترفتها فأدت بها لتلك الحال، لكنها الحياة، لا بد أن تقسو، ولا بد أن نتقبل هذا بصدر رحب.

«هل أنتِ مستعدة؟» إنها المرأة التي قد رأت انعكاسها في المرآة من قبل.

«نعم، لكن هل يمكنكِ الإجابة على سؤال لي قبل قتلي؟»

«نعم».

«لم قتلتم أبي! وما شأنه بكل هذا؟»

« كانت الإجابة في الكتاب الذي لم تكمليه، وكعقاب لك على هذا لن نخبرك أبدا».

«أرجوكِ!»

«لا».

«هل يمكنكِ إهدائي وقتا فقط لأقرأ الكتاب ثم لكم نفسي اقتلوها كما تشاؤون».

«انتهت كل الفرص يا مريم، إلى اللقاء».

***

«العثور على جثمان المعلمة مريم في منزلها ليلة أمس، وقد طعنها القاتل ثلاثا وعشرين طعنة، ربما فعل هذا بعدما اكتشف أنها القاتلة الحقيقية للأطفال الثلاثة».

إنه العنوان الأول بالصفحة الأولى في الجرائد، قرأته سلمى ثم أسرعت في الاتصال برجال الشرطة لإخبارهم بالحوار الذي جرى بينها وبين صديقتها مريم صباح البارحة في المدرسة، ولكن استوقفها رجل ما يقف في نافذة الطابق الخامس بالمشفى المهجور يلوح لها.

ازدردت ريقها بصعوبة، ثم حاولت الاقتراب أكثر نحو النافذة فوجدته يقف وبجانبه الصغار الثلاثة، وصديقتها مريم، فصرخت كثيرا حتى انهارت قواها ووقعت مغشيا عليها.

حينما استفاقت قررت الذهاب إلى بيت صديقتها مريم، علها تجد به ما لم يستطع رجال الشرطة إيجاده بعد فتستطيع فك هذا اللغز المخيف.

***

وصلت نحو مقصدها، وحاولت دفع الباب بقدمها فانفتح على مصراعيه، اقتربت قليلا حتى دخلت المنزل فتعثرت قدماها بكتاب ما على الأرض، التقطته سريعا وأخذت تقلب بين صفحاته فوجدت فيه كل ما حدث، وجميع ما سيحدث أيضا.

المسكينة مريم، والأطفال الصغار لقد كانوا جميعا ضحايا جريمة لم يرتكبوها أبدا، فقد قتلهم ذلك المريض انتقاما لما فعله به والد مريم.

كان والد مريم طبيبا يعمل في المشفى قبل إخلائها من المرضى تماما منذ ثلاث وعشرين سنة، هو مسؤول عن مريض ما، فكان يعامله بقسوة جدا لأنه لا يتبع التعليمات، حتى قرر أن يحبسه في غرفة مهجورة كعقابٍ له على ما يفعله، وحينما قرروا نقل المرضى إلى مستشفيات أخرى نسوا ذلك المريض القاطن بالغرفة المهجورة، فاستعان المريض بسكان البعد الآخر من جن وعفاريت حتى يخرجوه منها، لكن شرطهم الوحيد لهذا تقديم عشرة قرابين من البشر إليهم.

لن يقتل العفاريت شخصا ما حتى يأمرهم هو بقتله، وبأي طريقة يريد هذا، فبدأ بوالد مريم منذ ثلاثة سنوات في حادث على الطريق، ومن ثم جاء الطفلان سحر وعلي هدية إليه فقرر طعنهما بالخناجر.

يخاف هذا المريض أن يعرف أحد ما حكايته فتُهدم المستشفى، فكان إذا ما عرف شخص ما قصة وجود عفاريت بالمشفى يقتله حتى لا يخبر أحدا آخر.

لذلك قد قتل حازم فور عصيانه له، وإخبار مريم بالقصة الحقيقة، فحان دورها، ولقد كانت هذه فرصة جيدة للانتقام من ابنة الطبيب الذي كان سببا في كل ما حل به.

والآن. الآن هو دور سلمى، لأنها قد عرفت أيضا القصة الحقيقية لهذا الشخص الذي قد لوح لها من المشفى صباحا لذلك سيقتلها خشية أن تخبر أحد ما.

«لا تقتلني أرجوك، ولن أخبر أحدا بتلك القصة أبدا». قالتها بصوت وجس في الفراغ المحيط بها، حتى أتاها صدى صوت ما يقول: «لقد فات الأوان». فأصبحت هي الأخرى بين عالم الأموات.

كانَ المحقق يقفُ عند باب المنزل أثناء حدوثِ هذا فعرف ما حدث، وفهم طبيعة ما سيحدث، وهذه فرصة جيدة جدًّا ليكون هو القربان القادم لا مجال.

***

عزيزي القارئ، لقد علمت أنت أيضا القصة الحقيقية له، فلا شك بأنك ستكون أنت الآخر قربانا يوما ما.

***

بين الواقع والخيال

شروق صالح

في ظلمة الليل الحَالِكْ وسكونه صوت صرخات لفتاة قاطعًا لهذا الهدوء «ابتعدوا عني لَا أريد رؤيتكم مرة أخرى فلينقذني أحدكم».

كان جسدها ينتفض من على الفراش الواقع في هذه الغرفة المظلمة الفارغة حيث إنها لا تحتوي على شيء سوى هذا السرير وظلال لأجسام غير موجودة في الغرفة.

دخلت الممرضات والطبيب وأمسكوا معصمها بقوة.

الطبيب: «اهدئي يا ريكا إنه كابوس».

ثم أخذ إبرة ليحقنها بها. ازدادت مقاومتها وصراخها: «لا. لا أريد مهدئا، أرجوك صدقني إنهم يحضرون إلى وقواي منعدمة من المهدئ».

إحدى الممرضات: «أيها الطبيب لا يوجد أي تحسن منذ أن أحضروها إلينا».

الطبيب بسخرية: «دعكِ منها فمن يأتي إلى هنا مجنون لكن ذويهم لا يرغبون في الاعتراف بهذا».

ما من لحظات حتى هدأ جسدها فغادر الجميع الغرفة وهي تغمض عينها وتفتحها وتراقب إحدى أركان الغرفة قائلة بابتسامة: «أخيرًا أتيت يا داني».

اقترب منها شاب ذو شعر بني يرتدي ملابس بيضاء ويضع يده على شعرها مهدئًا إياها قائلًا: « نامي بهدوء، لا تقلقي، لن أدع أحدا منهم يؤذيكِ فأنت لا تستحقين هذا».

فقدت وعيها وأغلقت عينيها الزرقاوتين وهي تتمتم باسم داني.

- قبل ثلاث أسابيع..

كانت ريكا تستلقي على فراشها بملل وتتصفح حسابها لتتفاجأ بإعلان عن مسابقة تأليف قصص رعب لكن يشترط أن تكون قصة مصورة، قفزت من السعادة قائلةً: «سأشارك فيها بكل تأكيد»، وما من دقائق حتى علا الحزن ملامحها وبدأت بعض شفتيها بتوتر ودون أن تشعر قضمت أظافرها حتى جرحت إحدى أصابعها فاستفاقت من شرودها قائلةً بصوت خافت: «أكره هذا الشعور الذي يتملكني فور معرفة أن هناك مسابقة، فعقلي يصيبه الشلل الفكري وأشعر كأنني لأول مرة سأكتب قصة أو أرسم رسمة، ثم يرتفع ضغطي وأتحول لإنسانة عصبية لا تتحدث مع أحد وتفضل العزلة ريثما تجد فكرة جديدة مثيرة تنال إعجابها».

نهضت لتأخذ حمام ماء دافئا تحفز به دماغها على التفكير.

وقفت تحت المياه الدافئة فانهمرت على رأسها وهي منعزلة عن العالم وفجأة بسعادة: «لقد وجدتها».

أُغلقت المياه وارتدت ملابس النوم وأمسكت هاتفها وبدأت بالكتابة إلى أن غلبها النوم.

في صباح اليوم التالي استيقظت قائلة: «وقعت في غرام (داني)!! يالي من حمقاء، أرسم الشخصية ثم أقع في غرامها».

مر الوقت سريعًا دون أن تشعر وهي جالسة، رافعة شعرها البني ذا الخصلات الذهبية بفرشاة ألوان وواضعةً فرشاة أخرى فوق أذنها والثالثة بين أناملها ووجهها ملطخ بقليل من الألوان ويداها كذلك وتستمع لموسيقى عذبة وأمامها رسمة لفتاة تنزف دماء.

فجأة.

اتسعت عيناها قائلةً وهي تتراجع للخلف والفرشاة تسقط من بين يديها «ماذا يحدث هنا؟!»

ابتلعت لعابها وأسرعت باتجاه زر الضوء لتشعل الغرفة بأكملها وتنظر بخوف شديد باتجاه اللوحة.

لقد امتلأت اللوحة باللون الأحمر الدموي كأنها تنزف ويد الفتاة المرسومة تخترق اللوحة وتخرج وقد تحولت أظافرها لمخالب

حادة وبدأت أضواء الغرفة تُطفيء وتُشعل بسرعة ودخان غريب ملأ الغرفة وصوت الفتاة تقول: «أتستمتعين برسمي أُعاني ثم تكتبين قصصًا عني؟ ألم تفكري ولو للحظة ما هو شعوري وأنا أُعاني من هذه الجروح؟! صنعت مني بطلة لقصتك لكن ما الفائدة وأنا أتألم؟ لِمَ لم أكن الشريرة؟ لِمَ أنا هي الطيبة ؟»

حاولت ريكا فتح باب الغرفة للمغادرة لكن الباب كان موصدا بإحكام.

تحدثت وهي ترتجف بخوف شديد: «يبدو أنني أحلم فلا يمكن لك الخروج من اللوحة!!».

ثم صفعت نفسها لعلها تستفيق من هذا الكابوس لكن لم يحدث شيء.

بدأت الفتاة المرسومة (كاثرين) بإخراج وجهها ذي العين المجروحة والأسنان المتهالكة وهي تقول بخبث: «ألم تتسائلي دومًا لم لا تكون رواياتك حقيقة أو شخصياتك في اللوحة أناسا تتحدثين معهم؟ ها أنا أحقق حلمك، فلماذا تشعرين بالخوف الآن؟»

بدأت ريكا بقضم أظافرها من شدة الخوف قائلةً: «لكنك كنت طيبة في القصة».

أطلقت كاثرين ضحكات عالية كأنها فقدت عقلها قائلة: «ألم تكلفني هذه الطيبة أن أُجرح وأخسر عيني اليمنى وأسناني أيضًا؟ لذا قررت أن أبدأ بالانتقام وسأبدأ بك».

ريكا «لحظة يا كاثرين، أنت سوف تشفين في بقية الفصول وليس هذا فحسب بل سأجعلك تنتصرين عليهم».

كاثرين بغضب: «لا أريد أن تتحكمي بي بعد الآن، لذا سآخذ حقي وأُدخلك مكاني وأحل مكانك وأكون أنا المسيطرة هنا».

قاطعهم سقوط باقي اللوحات أرضًا وخروج داني من لوحته قائلًا: «كاثرين ماذا حدث لك؟ نحن في العالم الآخر رُسمنا لنخدم سيدتنا التي قامت برسمنا لذا لا يجوز أن نخرج عن طوعها».

كاثرين بغضب: «هذا كله لأنها لا تؤذيك، أنا من تتأذى هناك يا داني، حتى أنني من أحببتك ولم تحبني».

ثم ركضت بسرعة لتنقض على ريكا.

استفاقت ريكا في المشفى، واضعةً يدها على صدرها، قائلةً: «مازلت أحلم بما حدث كأنه حدث بالأمس».

نهض داني من على الأرض متسائلًا: «هل أنت بخير؟»

حركت رأسها بالنفي قائلةً: «وكيف سأصبح بخير ولا أحد في هذا العالم يصدقني؟»

داني: «لِمَ لا تكملين القصة وتقتلين كاثرين فيها؟»

ريكا بخوف: « لا أتجرأ على فعل هذا».

قاطعتهما كاثرين الجالسة على سور النافذة: «يالك من خائن، ألم تكتفِ من دفاعك عنها؟ والآن تحرضها على قتلنا!!».

نهض داني مسرعًا واستدار ناظرًا لها: «نعم أحرضها، فأنت من تستحقين الموت ويكفي أن عائلتها أحضرتها إلى هنا».

نزلت كاثرين من على النافذة واقتربت، أخذ داني وضع الدفاع ونهضت ريكا وهي تتأرجح لتقف خلفه وتمسكه من ملابسه بخوف قائلةً: «لا تحاربها فقد أصبحت خطيرة».

ابتسمت كاثرين وأخرجت سكينا قائلةً: «حان الآن موعد استرداد أولى الأشياء التي سرقت مني وهي عيني».

داني بصوت مرتفع: «عودي للوراء يا ريكا» .

ريكا بخوف: «لا لن أسمح بأذيتك».

داني بغضب: « كفاك مزاحا، لا يوجد وقت هيا أسرعي».

دفعها بعيدًا عنه فتساقطت دموعها على خديها الشاحبين وهي تحرك رأسها قائلةً: «لا.. لا.. لن أتركك بمفردك».

قاطعتهما كاثرين قائلةً: «يالها من لحظات تدمي القلوب لكن للأسف سأقاطعكما».

قاطعهم دخول الطبيب، فاختفى كل من كاثرين وداني وسقطت ريكا أرضًا تعجب الطبيب وسألها: «لما نهضت دون طلب المساعدة؟».

ومد يده ليمسكها فدفعتها بعيدًا قائلة: «هل أطلب المساعدة من وحش بشري يسمي نفسه طبيباً ولا يصدقني؟».

آثار ذلك غضبه ورفع صوته مناديًا الممرضة: «أدخلوها جلسة الكهرباء».

الممرضة: «أخوها قادم الآن أيها الطبيب» .

رفعها بغضب من قميصها مهددًا إياها: «لا تظني أنك ستفلتين من بين يدي».

ثم غادر الغرفة وهو يركل الباب.

ريكا: «هل أخي هنا حقا؟».

ابتسمت الممرضة بدفء ودخل شاب طويل القامة يشبه ريكا جدًا، ركضت باتجاهه وهي تترنح، واحتضنته قائلة: «اشتقت لك يا أخي».

غادرت الممرضة الغرفة وجلسا على السرير.

«هل مازلت تقولين بأن شخصيات قصصك تهاجمك؟».

حرك رأسه بالموافقة ليظهر على ملامحه الضيق قائلًا: «إذًا ستظلين هنا للأسف».

ونهض مغادرًا.

استوقفته قائلةً: «إن لم يصدقني أخي التوأم كيف أطالب الأطباء بتصديقي؟»

ثم صرخت فيه: «غادر ولا تأت إلى هنا مرة أخرى».

احتضنت وسادتها وهي تتذكر ما حدث قبل حضورها إلى المشفى.

«في ذلك اليوم وكاثرين كانت ستنقض عليّ واقتربت بسرعة، وقف داني أمامي وأخذ الطعنة في كتفه بدلًا مني فتناثرت الدماء على ملابسي ووجهي ولم تكن ستكتفي بذلك لولا دخول أخي الغرفة فاختفى كل شيء كما ظهر من العدم ماعدا لوحاتي التي تمزقت. دفنت جسدي بين أحضانه وانهرت من البكاء ولم تكف دموعي عن الآنهمار كالمطر وبعدها بمدة رويت له ما حدث.. نعتني بالمجنونة وأخبر أمي لتقول: يبدو أن قصصك أثرت على عقلك! وغادروا الغرفة.

طوال الليل لم أتمكن من النوم من شدة خوفي إلى أن أتى الموعد المحتوم، قبل الفجر بقليل خرجت كاثرين من خلف لوحاتي وهي تلعق سكينها المملؤة بالدماء قائلة: لم يمت داني يالخسرة رغبت في قتله أمام عينيك الجميلتين هاتين لكن شاء القدر أن تلقى حتفك على يدي قبله وحينها لن أقتله وسيحبني، فبدونك سأصبح أنا المؤلفة والكاتبة للأحداث. وأطلقت ضحكات كثيرة، فقدت السيطرة على جسدي لحظتها وأطلقت صرخات كثيرة عالية كمن رأت مسخا أمامها أو

تعرضت لتعذيب مميت فاستيقظ جميع من بالمنزل وركضوا مسرعين لغرفتي فاختفت وهي تقول: «عاجلًا أم آجلًا سوف تقتلين على يدي يا عزيزتي».

بدأت بشرح كل شيء والرعب ظاهر على وجهي حتى وقعت عيني على انعكاس صورتي، تفاجأت بلون بشرتي الذي أصبح أصفر شاحبا، وشفتاي تحولت للأبيض وخصلات من شعري أصبحت تلمع بلونها الفضي. أصدر أبي الحكم عليّ بأنني مجنونة ودون مناقشة الأمر اتصل بصديقه مدير المشفى، وبعد مرور ساعة أو أقل في الحقيقة لا أعلم لم أجد نفسي إلا ورجلان يدخلان ومعهما الطبيب ويقومون بتنويمي، استيقظت بعد مدة لأجد نفسي أسيرة هذه الغرفة ولا أحد يصدقني».

استفاقت من تذكرها على صوت قادم من خلفها قائلًا: «أنا أصدقك يا ريكا».

لم تنظر له لكنها أجابته: «وما الفائدة فأنت لست من عالمي، أتعلم.قررت أن أستسلم اليوم مساءً لكاثرين؛ فالموت أفضل بكثير من العيش في هذا العالم القاسي الذي لا يؤمن إلا بالمنطق والحقائق التي يراها ويعرفها، وحتى في أبسط الأمور أن فضلت مثلًا أكلة أكثر من الأكلة المفضلة لأحدهم تجد جدالًا اشتعل بالمكان ونُعِتَ بأنك لا تمتلك ذوقا و..

ولا تنتهي منه إلا بحالتين: الأولى أن تشتري نفسك وتخبره بأنه على صواب، الثاني أن تكون من أصحاب النفس الطويل، وتستمر في هذا الجدال إلى أن ينتهي الوقت. أتعلم يا داني دائمًا ما رغبت الحديث معكم والعيش في عالمك لكن بشرط أن أظل أنا المتحكمة في الأحداث لكن بعدما حدث هذا ندمت كثيرًا على هذه الأمنية. فبعض الأمنيات، وإن كانت مستحيلة، تتحقق من كثرة إيمانك بها وتصديقك لها».

تنهدت ثم أكملت: «سأنام الآن ليأتي الليل سريعًا وتعود كاثرين لقتلي».

داني: « لكن.». .

ريكا: «لا أريد سماع شيء الآن، هيا إذهب لعالمك».

اختفى داني لكنّ هناك عيونا تراقبها من أحد أركان الغرفة قائلة: «ما هي المتعة من قتلك وأنت لا تقاومين؟».

وما أن أنهت كاثرين جملتها لتتفاجأ بدخول الطبيب ومعه ممرضان قائلًا: «خذاها لجلسة الكهرباء». استيقظت ريكا على صوته وحاولت المقاومة وهي تسبهم لكن مقاومتها باءت بالفشل.

أدخلاها غرفة بها أجهزة كثيرة متصلة بالكهرباء، أجلساها على أحد الكراسي وقيداها به وضغطا على زر بعدما حددا مدة وقوة الكهرباء وانتظرا حتى انتهاء المدة.

علت صرخاتها في المكان وهي تتحدث بصعوبة: «ستدفع الثمن غاليا، سأسلطهم عليك، تعتقد بأنني مجنونة لكن لا أحد مجنون سواك».

آثار ذلك غضب الطبيب مما دفعه إلى صفعها على وجهها فنزفت شفتاها، بصقت في وجهه قائلة « أتسمي هذه رجولة؟»

في هذه الأثناء كان داني عائدا إلى غرفتها ليواجه كاثرين التي أخبرته بما يحدث لريكا مبررة ذلك بأنها هي فقط من يحق لها فعل هذا.

ركض داني بين الطرقات فشاهد ريكا تتعذب وتصرخ فلم يشعر بنفسه إلا وقد نزع السكين من بين يدي كاثرين وركض باتجاه الطبيب المنتشرة ضحكاته في المكان ليقطع ضحكاته بالسكين التي تطير في الهواء بقوة وسرعة رهيبة وتدب في عنقه لتخترقها وتخرج من الجانب الآخر والدماء تسيل من فمه ومن باقي جسده كنهر متدفق. أطلق الممرضان صرخات عالية ثم اقترب داني ببطء ونزعها من عنقه بعدما سقط أرضًا واقترب من ريكا وهمس في أذنها وهويغلق الجهاز: «إنهم يستحقون الموت».

الممرض الأول: «مستحيل السكين تتحرك بمفردها في الجو».

الممرض الثاني بفزع: «دعنا نهرب بسرعة».

وما أن حاولا الهرب حتى وجدا السكين تقف عند الباب بسنها الحاد باتجاههما.

داني بغضب وقد احمرت عيناه: «أنتما في عداد الموتى الآن».

قاطعه صوت ريكا قائلة: «لا تفعل هذا يا داني فأنت لست بقاتل».

داني: «إن جعلتهما يغادران الغرفة أحياء سيستمران في تعذيبك».

ريكا: «بل سيُطلق عليهما مجنونين مثلي».

أخفى داني السكين في جيبه قائلًا: «من أجلك فقط سوف أصمت هذه المرة».

واتجه نحوها لفك قيودها بينما أسرع الممرضان للخارج وهم يقولان: «ريكا ليست مجنونة هناك من يأتي لأذيتها وقُتل الطبيب».

اجتمع جميع من بالمشفى واستمعوا لهما.

وإذ بمدير المشفى يقول: «خذوهما للفحص في الحال واتصلوا برجال الشرطة وأعيدوا ريكا إلى غرفتها».

أتى رجال الشرطة وأخذوا الجثة للتحقيق في الأمر ثم غادروا المشفى.

بعد مرور عدة ساعات، وبالأخص بعد منتصف الليل، جلست ريكا على سريرها وهي ضامةً رجليها إلى صدرها وتنظر بخوف في

الغرفة وداني واقف بجوارها ليقول: «اهدئي لن يستطيع أحد إثبات أنك القاتلة».

ريكا بغضب وصراخ: «بل سيتحد الممرضان ضدي وسيؤكدان أنني القاتلة فلا يوجد دليل يخرجني من هذا الأمر».

داني وهو يجلس بجوارها: «لا تقلقي أن تطلب الأمر سأقتل العالم أجمع لحمايتك».

قاطعهما دخول شاب الغرفة وخلفه كاثرين وهو يقول: «لقد تماديت يا داني كثيرًا».

اتسعت عينا ريكا متسائلة بتعجب: «أخي أتستطيع رؤيتهم؟!».

ابتسم بخبث: «بكل تأكيد».

ريكا: «إذًا لماذا لم تقل هذا بدلًا من نعتي بالجنون».

«ببساطة أنا من فتح البوابة بين العالمين وقطعت الخيط الرقيق الذي يفصلنا عنهم».

ريكا: «لما فعلت هذا؟»

«لأنك كنت ستفوزين بالمسابقة وستكونين المفضلة لدى والدي وسأخسر أنا الميزات التي أمتلكها.

ألا يكفي أنك تشاركينني فيهما؟ ياليتك لم تولدي وكنت الابن الوحيد لهما، لذا تعلمت السحر، واستطعت أن أفتح البوابة واستغللت

كره كاثرين لك، فكما يقال عدوعدوك صديقك، فقد كانت عدوتي لأنك ستشاركين بها في المسابقة، أما الآن فهي صديقتي، سأغادر الآن ولتنهِ كاثرين مهمتها لنغلق البوابة بين العالمين».

همَّ بالمغادرة فاستوقفته ريكا: «أخي. لن أشارك لكن خذني من هنا أرجوك أعدك سأنسحب وأغلق هذه البوابة».

استدار بغضب: «لا أنسي هذا، فأنت من المفترض ألا تكوني على قيد الحياة، تخيلي أن كل شيء لي ياله من شعور رائع».

ريكا ببكاء: «أخي أرجوك». غادر وهويشير لكاثرين لتنفيذ المهمة.

ابتسمت كاثرين قائلة: «الطعن من أقرب الأقربين شيء مؤلم حقًا».

أخرج داني الدفتر قائلًا، وهو يهمس في أذني ريكا،: «اكتبي بسرعة واقتليها».

لم تستمع له ريكا، فقد كانت تمر بصدمة عصيبة وتردد كلمة: «أخي لا يستطيع قتلي».

أخرج كل من داني وكاثرين أسلحة بيضاء وصرخ داني قائلًا: «انهي الأمر يا ريكا».

التحما معًا وبدأت أصوات احتكاك الأسلحة في الآنتشار، أما ريكا كانت في عالم آخر.

ريكا: «كيف يحدث هذا، أخي الذي أحزانه أحزاني وأفراحه أفراحي كيف يفعل بي هذا!! كيف ينسى طفولتنا !! كل شيء له منذ زمن، دائمًا هو رقم واحد في المنزل، طلباته مجابة دائمًا أما أنا لا.

أتذكر جيدًا محاولاتي الدائمة لإرضاء والدي بأي طريقة ليُهدياني بعضًا من الحب الذي يأخذه هو دائمًا، وبالرغم من هذا لم أكرهه ولو ليوم واحد أو أتمنى أن يختفي. جميع كوارثه كنت أتحملها عنه كي لا يُعاقب، لماذا فعل بي هذا؟!».

استفاقت على صوت داني وهو يصرخ فقد كان ملقى على الأرض وتجلس كاثرين فوقه وسلاحه ملقى بعيدًا عنه، أما سلاحها كانت تحاول أن تغرسه في قلبه.

ريكا بصوت مرتفع: «لم يحبني أحد في هذا العالم سواك يا داني، فإن تطلب الأمر أن أقتل سأقتل من أجلك فأنا لن أتحمل موتك».

أمسكت القلم بسرعة وكتبت جملة: «وبعدها هجم كيفن على كاثرين وأصابها بجروح عميقة استطاع أن يطلق طلقة لتستقر في دماغها وتسقط أرضًا لتلقى حتفها على يديه».

وبالفعل أُطلقت طلقة من العدم لتستقر في منتصف رأسها وتناثر الدماء في الهواء، وما من لحظات لتتبخر فينهض داني والسعادة تغمره، يحتضن ريكا قائلًا: «أخيرًا اتخذت القرار الصحيح».

أبعدته بعيدًا عنها ونظرت بحزن له قائلةً: «يجب أن أغلق البوابة يا داني ويترتب عليك العودة إلى عالمك».

داني: «لكني أريد البقاء هنا فأنت لن تستطيعي مواجهة أخيك بمفردك».

تنهدت ريكا: «هذه مشكلتي وسأجد حلا لها».

مرت لحظات ليدخل أخوها مع مدير المشفى ظنًا منه بأنها قُتلت، اتسعت عيناه.

ريكا بهدوء: «يبدو أيها المدير أنني كنت أعاني من هلاوس بسبب كاباتي، أما الآن أصبحت على ما يرام».

مدير المشفى: «حسنًا يا ريكا سنضعك تحت الملاحظة مدة ثم تغادرين المشفى لكن قبل هذا لما قتلت طبيبك؟».

ريكا بصدمة: «قتلت من؟ أنا لم أقتل أحدا».

المدير: «آسف يا ريكا لكن الممرضين أخبرانا بتهديدك لهما بأن يقولا ما قالا وأيضًا بسرقتك السكين من المطعم».

ودخل رجال الشرطة قائلين: «سنأخذها لمشفى الشرطة».

نهضت وتراجعت للخلف فإذا بأخيها يقول: «لحظة سأقول لها كلمة».

اقترب منها وهمس في أذنها بجملة فاتسعت عيناها وفجأة تطايرت طلقات في أرجاء الغرفة ليسقط الجميع أموات

فيقول داني» ماذا قال لك؟»

ابتلعت لعابها قائلة: «ليس هناك وقت يجب أن نغادر».

ركضا في المشفى وكان داني ينطلق في كل مكان لفتح الطريق أمامها، تذكرت كلام أخيها: «إن لم يحمك داني وقتل كثيرين لما كنتِ الآن ستسجنين، كان يجب أن أتأكد بنفسي بأنك لن تعودي لمنزلنا مرة أخرى، لذا دفعت الممرضين لقول ما أريد حتى يعودا لحياتهما السابقة».

استفاقت من تذكرها وهي خارج المشفى.

بعد مدة سافرت خارج البلاد برفقة داني وأخفت هويتها، وأجرت عملية تجميل تغير من ملامحها لتستطيع ممارسة حياة طبيعية بعيدة عن عالمها البشري وتعيش وسط شخصيات من صنع خيالها.

تجلس ريكا في منزل على قمة أحد الجبال وتمسك بين يديها جريدة لتقرأ خبراً كُتب فيه: من هي السفاحة؟

من ذا الذي سيصدق أن السفاحين مازلوا موجودين في هذا العالم وعادوا من جديد!! استيقظ العالم منذ أسبوع على هذا الخبر المفجع الذي تدمى له القلوب: السفاحة ريكا كاتبة ورسامة كانت تعاني من مرض نادر في أحد الأيام زعمت بأن شخصيات قصصها

ظهرت في عالمنا، واتضح أن هذا لم يكن سوى تأليف منها. بينما هي في المشفى قتلت كل الطاقم الطبي حتى أن أخاها الذي أحبها كثيرًا لم يسلم منها. ذكر والدها أنها كانت كثيرة المشاكل، أما أمها فهي في صدمة منذ تلك الحادثة وتتلقى العلاج في إحدى المشافي. وأكثر شيء مرعب أنها مازالت طليقة في هذا العالم، ولم يتم القبض عليها حتى الآن. الشرطة تناشد المواطنين بسرعة التبليغ عنها فور رؤيتها.

ابتسمت ريكا بسخرية قائلة: «يالهم من حمقى يا داني! لا يعلمون أنهم مهما بحثوا عني فلن يجدوني، وأنني صنعت عالمي الخاص وطبيبي الخاص الذي غير شكلي».

داني: «أتريدين الآنتقام منهم يا عزيزتي؟».

بابتسامة وهي تنظر من النافذة: «ليس الآن، دعنا نستعد للزواج ولا نشغل بالنا بهذه الأمور التافهة».

داخلها خيط شفاف هوالحد الفاصل بين العوالم. ولا يجوز أن يخترق أبدًا فلو كان مسموحا لنا باختراقه لكنا علمنا به ولكن أخي هو من أراد اختراقه ودفع الثمن حياته. جميعنا نملك جانبي الخير والشر ونحن من نتحكم في أيهما الذي يطغى علينا، وفي بعض الأحيان الظروف هي من تدفعنا لإخراج الشر الذي بداخلنا.

***

بقايا موت

سهير عدلي

(قصة حقيقية من واقع الحياة)

تغسل الأواني وهي تدندن بأغنية لأم كلثوم: «أنساك يا سلام. انساك ده كلام»، والأواني تحدث جلبة بين يديها كأنها مستمتعة بصوتها العذب، شعرها الأسود المعقوص على شكل ذيل حصان، يهتز خلفها، تؤرجحه بحركاتها النشطة.

وفجأة.تتوقف وفاء عن الغناء، وعن غسل الأواني ملقية بأذنها في الفراغ، حتى تتأكد من صوت سمعته يناديها باسمها.صوت له صدى مخيف:

- وفاااااااء.

فتقوس فمها الصغير وتضيق عينيها الواسعتين في تعجب، وتسأل نفسها بصوت شبه مسموع:

- هل ينادى عليَّ أحد؟

إنها في البيت بمفردها لا يوجد حولها غير الهدوء.أقنعت نفسها أن ما سمعته ماهو إلا خيالات.

عادت إلى دندنتها وغسلها للأواني محدثة جلبة عالية، ولكن الصوت عاد وبقوة، صوت مخيف كأنه يأتي من الزمن البعيد، كأنه وسوسة شيطان مريد.

- وفاااااااااااااااء.

إنها لا تتخيل إذًا.هناك أحد يناديها، أرادت أن تبتلع ريقها ولكنه توقف في حلقها كأنها ابتلعت حجرا سد باب القصبة الهوائية، امتقع وجهها وتبدل لون بشرتها البرونزية إلى لون الليمون، تركت الأواني وبدأت تمشي خطوات بطيئة كلها خوف واضطراب تقول بصوت متلجلج خائف مرتعش:

- ممن؟.من هنا؟!

ولكن لا أحد يجيب، الصوت يعود صداه المخيف، يعود بقوة كأنه فحيح ثعبان كبير.

- وفاااااااااااااااااء.

وهي تتجول في الشقة تفتح أبوابها تفتش فيها وهي تردد بخوف:

- مممن؟ من ينادي؟

اتجهت إلى باب الشقة قد يكون أحد على الباب، همت أن تفتحه ودقات قلبها تعلو بصخب، يدها على الريتاج ترتجف، أذنها على الباب تتسمع، وتقول:

- ممن بالخارج؟

ولكن لا أحد يجيب، فتحت باب الشقة ببطء وحذر بعد أن ابتلعت ريقها وكأنها تبتلع أشواكا.لم تجد أحدا في الخارج حتى أنها خطت خارجها تنظر إلى أعلى وإلى أسفل، لكن لا يوجد إلا الفراغ.

تنفست وأنفاسها مختلطة بالخوف والدهشة.تتساءل من يناديها؟ ما هذا الصوت؟هل خدعتها أذنيها؟ تعود إلى شقتها بخطوات ثقيلة مضطربة، تغلق الباب خلفها تستند إليه بظهرها، تتنفس بقوة لتجلب الشجاعة لنفسها وتحاول أن تقنع نفسها أنها تتوهم.

عندما عاد مصطفى زوجها ذلك الأسمر ذو العيون الواسعة، وأنف مستقيم، وشفتان غليظة، لاحظ أنها شاردة، عازفة عن الطعام حتى أنها لم تسمعه وهو يناديها:

- وفاء. وفاء.

وبحركة من يده وهي تزحف نحو كتفها ليوقظها من شرودها:

- وفاء ما بك؟

حركة يده وهويهز كتفها ونطقه لاسمها، جعلها ترتعد كأنها صعقت بماس كهربائي أصدرت آهة فزع وهي تقول:

- مصطفى أفزعتني.

يقول متعجبا من حالتها:

- ما بك؟ أنا أنادي عليك وأنت لا تجيبي، لما كل هذا الفزع. وفيما كنت شاردة؟

تنفست وهي تشعر بحيرة. أتقص عليه ما حدث معها؟ أم لا؟ وهل سيسخر منها إذا حكت له؟ ولكنها بحاجة إلى أن تتكلم فمازال للصوت المخيف صداه في أذنها، وقررت أن تحكي له ما حدث معها فقالت له وهي ترخي جفونها بتردد:

- مصطفى. لقد حدث معي اليوم شئ غريب، شئ أفزعني ولهذا أنا شاردة.

يضيق عينيه بتساؤل ويقول:

- ماذا حدث؟

والكلمات تتقافزعلى لسانهابحيرةتقول وخلجات وجهها كلهامرتبكة:

- طوال اليوم وأنا أسمع صوتا يردد اسمي، وكأنه يناديني، صوت مخيف يامصطفى، كأنه يأتي من الفضاء له فحيح مرعب قل لي يا مصطفى ما هذا الصوت؟ ومن أين يأتي؟!

وجدته يضحك بملء فيه، كأنها ألقت على مسامعه دعابة ثم يقول والضحك مازال يعبئ فمه:

- ما هذا الهراء ياوفاء؟ هل شاهدت فيلم رعب؟

مزاحه أغضبها وأردفت وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها ووجهها محتقن بشدة:

- كنت أعلم أنك لن تصدقني وستأخذ الأمر بمزاح.

ابتلع ضحكه وحاول أن يتكلم بجدية حتى يمتص غضبها:

- حبيبتي أنا لا أقصد أن أغضبك ولكن ما تقصينه لا يحدث إلا في أفلام الرعب، يبدو أنك كنت متعبة والإرهاق هيئ لك ذلك.

تنظر له بعدم اقتناع وتزفر بيأس تحاول أن تنسى ما حدث لها، وتقنع نفسها أن ما حدث لها مجرد خيالات.

ذهب مصطفى إلى عمله، وكعادته يترك زوجته تستيقظ وقتما تشاء.

كانت وفاء تغط في نوم عميق، فأتى الصوت زاحفا نحو أذنيها، يصدح بصداه المخيف كأنه يصدر من أعماق الرعب كأنه شيطان رجيم يوسوس لها في أذنها:

- وفاااااااء.وفاااااااء.استيقظي وفاااااء أعيديني.

تفتح عينيها على هذا الصوت الذي يخلع القلوب كأنه نفخة البعث، تصدر صرخة رعب وتنزع عنها الغطاء بحركة عصبية فقالت بصوت مرتجف عالٍ:

- من؟. من؟

ثم تلتفت يمينا وشمالا بعيون جاحظة تملؤها الخوف، شعرها ثائر كأنه خائف معها، لم تجد أحدا فأغمضت عيونها وهي تضع يدها على فمها تشعر بأنفاسها التي تهب من داخلها مذعورة. ثم قالت لنفسها:

- ما هذاااا؟ هل كنت أحلم؟

مسحت الفزع من على وجهها، تلهث كأنها كانت في سباق للركض، تحاول أن تطمئن قلبها:

- يبدو أن ما حدث لي أمس أتى لي على هيئة كابوس مخيف، آه ياربي ما هذا الذي يحدث لي؟!

نفضت عن نفسها الفزع الذي حدث لها وقامت لتغتسل.

بعد برهة خرجت من المرحاض وتوجهت صوب الخزانة لكي ترتدي ملابسها، وعندما همت أن تفتح الخزانة، صدح الصوت المخيف من جديد. يأتي من كل صوب حولها، وهذه المرة بقوة وإصرار كأنه يريد مبتغاه والا أزهق روحها:

-وفاااااااء.وفاااااااء.أعيديني..أعيديني

أعيديني.أعيديني.

لم تحتمل وفاء ما يحدث لها أنها لا تتوهم، ذلك الصوت المخيف، تسمعه، إنه يصم أذانها، أصاب جسدها بالقشعريرة، وجعلت أطرافها ترتخي، وأعصابها تضطرب، وأنفاسها ثقيلة. تركت الخزانة وتركت الحجرة كلها وهى تصرخ، وتصرخ، خرجت إلى الصالة، وانزوت فى ركنها تنكمش داخل نفسها تبكي وترتجف بشدة.

قطع دموعها صوت ذلك الجرس الذي أرعبها هو الآخر، أصبح كل صوت يخيفها، كل حركة ترعبها، وعندما أيقنت أنه صوت جرس الباب انشقت ابتسامة أمل من وسط دموعها وكأنها وجدت استغاثة، حاولت أن تنهض ولكن يبدو أن الرعب ابتلع قوتها، لكنها تماسكت ونهضت بالكاد. تركض بساقين مرتجفتين لتفتح الباب.

وجدت أخاها رشاد، وهو شاب في الثلاثينيات، طويل القامة وسيم بعض الشئ، وبتلقائية ارتمت في حضنه تبكي وترتعش بخوف، ليضمها بذراعي الدهشة ويسألها بانزعاج:

- ماذا حدث؟ هل تشاجرت أنت ومصطفى؟

وهي تبكى بتشنج وتلوذ به أكثر، كأن أحدا يريد أن يخطفها، فتزيد حيرته ويتصاعد انزعاجه فيسألها:

- تكلمي وفاء ما بك؟ هل حدث شئ؟

لتقول بصوت باكٍ وهي تتشبث به بهستريا:

- أنا خائفة رشاد. سأموت من الرعب.

- من أي شئ؟

والبكاء حبس الكلام بداخلها، فضمها رشاد اليه حتى تهدأ واصطحبها نحو الصالون.

أحضر لها كوب ماء، بعد أن هدأت قليلا سألها من جديد:

- ها احكِ لي ماذا حدث؟

أخرجت زفيرا مليئا بالرعب وحكت له ما حدث لها.

ضحك بصوت عالٍ كأنها تهذي ثم قال والكلمات مختلطة بأنفاسه الضاحكة:

- ما هذه الأفلام المرعبة التي تشاهدينها؟

صرخت وهى تهتف بثورة؟ وجهها شاحب كوجوه الموتى تقول وهي تلوح بيديها فى بصياح وكأنها على وشك الآنهيار:

- لن يصدقني أحد؟! زوجى يكذبني ويسخر مني، وأخي يتهمني بالجنون فلمن أذهب وأحكي ياالله، من سيصدقني؟ من؟ من؟

وظلت تبكي وتلكم قدميها بغضب هادر.

انقشعت الضحكة على فم رشاد، عندما رأى انفعالها الجارف، واقترب حاجباه في تساؤل وقال لها بانزعاج:

- اهدئي يا وفاء.فكل ما تقولينه لا يصدقه أحد، لم أقصد إزعاجك.

ومازال الآنفعال قابعا على وجهها، يقيد حركة كلامها تقول وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة.

- صدقني يا رشاد كل ما قلته لك حدث لي، أنا لا أهذي ولا أتخيل، حاولت أن أتغاضى عن الصوت الذي يلاحقني، ولكنه يرن في أذني بإلحاح مخيف، صوت مرعب كأنه يأتي من داخل القبور.

وظلت تنتحب وشهقاتها كأنها زفرات موت.

- حسنا.حسنا أنا أصدقك وسوف نبحث عن حل لهذا بإذن الله، ولكن اهدئي.اهدئي أختي.

كلماته بعثت بعض الأمان لها.

ظل معها في الشقة حتى يؤنسها إلى أن يأتي زوجها، يومان يمران وأخوها معها دون أي حدث مخيف، وظنت أن الأمر قد انقضى.

ظنت وفاء أنها كانت تتوهم، وأن ما حدث لها ما هو إلا ضرب من الخيال، طلبت من أخيها أن يعود إلى بيته وعمله اللذين تركهما من أجلها، وعادت هي إلى شئون بيتها، وكأن شيئا لم يحدث، عادت إلى غسل الأواني، والطهي، وغسل الملابس، تجمع الملابس من الشرفة حتى تضعهم في الخزانة، حاملة الثياب مرتبة بعضها فوق بعض، وعندما دلفت إلى الغرفة، شهقت بفزع، ألقت ما في يدها

من الثياب، فقد وجدت أبواب الخزانة كلها مفتحة، وكل ما في بطنها مبعثر على أرضية الحجرة، كأن هناك من فتحها وفتش فيها، سألت بعيون جاحظة وكلمات مرتجفة:

- ما هذا؟! من فعل ذلك؟!

وأجابها ذلك الصوت الذي يصدح وكأنه يأتي من غابة الموت، بصدى مخيف للغاية:

- أعيديني.أعيديني. يا وفاااااء.أعيديني.

خرجت من الحجرة فارة مذعورة تصرخ. وتصرخ، والخوف خنق صوتها، وعندما خرجت إلى الصالون رأت (النيش) يهتز كأن هناك زلزالا يؤرجحه، الأطباق الصينى تتساقط وكأن أحدا يلقي بها، والكؤوس تتساقط وتتهشم محدثة أصواتا مزعجة، والصوت المخيف يهتف ويقترب منها، كأنه جني سوف يخطفها:

- أعيديني.أعيديني وفاء.أعيديني.

كاد الخوف أن يقتلع خافقها، شعرت أن ساقيها لا تحملانها، تهتزان كما تهتز جذوع الشجر بفضل رياح عاتية، وأن روحها تزهق، تتراجع إلى الوراء بخطوات مرتجفة، تصرخ وتنادي لعل أحدا يغيثها:

- أغيثوني.يا قوم أغيثوني.

صوتها احتبس داخل حنجرتها، وبدأ الظلام يغشى عينيها، وأصبحت الرؤية منعدمة أمامها حتى غابت عن الوعي، جفونها ثقيلة، تفتح عيونها بصعوبة، ترى خيالا أمامها، يناديها:

- وفاااء. وفاااء.

الرؤية ضبابية أمامها، ظلت تصرخ، وتصرخ بفزع من ذلك الشبح وكأنه سينقض عليها، والشبح يتكلم وهي لا تميز صوته، تبتعد عنه تدفعه بيديها تصرخ فيه:

- ابتعد عني..لا لا لا تؤذني.

وما كان ذلك الشبح سوى مصطفى زوجها، الذي ظنته كذلك في بادئ الأمر، لأن الرؤية لديها كانت مشوشة، ومصطفى يهتف بصوت حنون ودود:

- وفاء اهدئي حبيبتي، إنه أنا مصطفى زوجك، لا توجد أشباح.

وعندما اتضحت الرؤية أمامها، وتبينت فعلا أنه زوجها لاذت في حضنه تدفن وجهها بداخله، تفر من ذلك الرعب الذي فتَّت قلبها.

يربت على ظهرها وهو يسألها بانزعاج:

- ماذا حدث؟ لقد اتصلت بي إحدى الجارات تقول لي إنها سمعت صوتك وأنت تصرخين.

تذكرت ما حدث فنزعت نفسها من حضنه، تنظر له بعينين مليئتين بالرعب، تقول والكلمات تخرج من فمها سريعة مذعورة:

- أرأيت ما حدث في الشقة؟ الثياب كلها خارج الخزانة مبعثرة على الأرض، والصيني كله تهشم والكؤوس أيضا كأنه زلزال يامصطفى، هيا لكي ترى بنفسك الفوضى التي حدثت، اصطحبته إلى الصالة، وهو يطاوعها؟ حائر من أمرها. يتنفس بأسف لما أصابها، توقفت وفاء تنظر بعيون شاخصة، للنيش بذهول، إنه بحالته لم يحدث له شئ، والكؤوس رصت كما ترصها بيديها، فتهز رأسها يمينا وشمالا في عدم تصديق، أوشكت على الآنهيار، بل إنها على حافة الجنون، أردفت بدهشة:

- ما هذا الذي يحدث من وضع كل شئ كما كان؟!

ثم ركضت صوب حجرة النوم ورأت الخزانة أيضا وقد عادت لعهدها السابق، والثياب رصت فيه بعناية فصرخت بانهيار:

- لماذا تفعلون بي ذلك؟! هل تريدون أن أصاب بالجنون؟ ماذا فعلت لكم؟ لماذا كل هذا يحدث لماذا؟ لماذا؟

ومصطفى يحاول أن يجعلها تهدأ ويقول لها:

- كل شئ كما كان حبيبتي لم يحدث شئ صدقيني، اهدئي أرجوك، أر..

قاطعته وهي في ذروة الآنهيار:

- لا تقل لي اهدئي، أنا تعبت مما يحدث، وأنا لا أعلم ماذا يحدث؟ ولمَ أنا من دون كل البشر يحدث لي هذا؟ ولا أحد يريد أن يصدقني.

يزفر مصطفى بضيق وحيرة ولا يعلم ماذا يفعل لها؟ إنها تنهار أمامه وهو عاجز يقول لنفسه:

- أيعقل أن يكون ما تقصه حقيقيا؟! آآاه ماذا أفعل لها؟ أخشى أن تصاب بانهيار، يالطيف يالله الطف بنا فيما جرت به المقادير.

نطق بهذا بينه وبين نفسه وقد بدأ يتسلل إليه الخوف. وتخره الحيرة.

أخذ مصطفى إجازة من عمله لكي يكون بجوارها، وبمجرد أن يغيب عنها لسبب ما، كأن يشتري أغراضا للبيت، يعود الصوت يرن في أذنها بفحيحه المخيف:

- أعيديني. أعيديني.أعيديني يا وفاااااء.

فيرتجف جسدها، وكأن روحها تفر من جسدها مذعورة، وإذا ذهبت إلى المرحاض، تشعر أن هناك خطوات تزحف خلفها تكاد تلامسها، والصوت يصدح من كل ركن تكون فيه يكاد يصم أذنيها، ينزع روحها، يدمر أعصابها، يلاحقها أينما كانت:

- وفاااااااء.أعيديني. وفاااء.أعيديني.

وتتساءل بانهيار:

ماهذا الصوت؟ من يناديني؟ وأين أعيده؟

أنا لا أفهم شيئا.

تبكي بهستريا، تكاد تصل إلى الجنون، تبكي وهي تستغيث بالله:

«يا الله أغثني أغثني يااااارب».

وتردد آيات القرآن، والصوت يزداد ويقترب، يعلو تارة ويهمس لها تارة أخرى.

-أعيديني.أعيديني.وفاااااااااء.أعيديني.

وتبدأ مشاهد الفوضى المرعبة وكأنها احتجاج غاضب من ذلك الصوت المخيف، وتتهشم الكؤوس، وتتطاير الأواني، وتلفظ الخزانة كل ما تحتويه من ملابس كأن أحدا يبعثرها، زلزال يحدث في الشقة يدمر كل شئ حولها، فوضى غاضبة. وهي تدور حول نفسها ترى ما يحدث عاجزة عن التفسير، عاجزة حتى عن الحركة، وصوتها احتبس بداخل حنجرتها، والصوت بدأ يصرخ فيها:

-أعيديني.أعيديني.أعيديني.

تتراجع خطوات إلى الوراء صوب باب الشقة ساقاها ترتجفان، عيناها شاخصتان، قلبها ينبض كأنه سيتوقف نهائيا، أنفاسها تعلو

وتهبط كأنها تركض لمسافات طويلة، وبدأت تستجدي صوتها الذى هرب منها، لعل أحد يغيثها:

- لالا لالاااااا.

تصرخ.وتصرخ تريد أن تفتح الباب، تشعر أن هناك من يقيد حركتها والصوت يقترب ويقترب يناديها:

-أعيديني.أعيديني.

حتى خرج صوتها محشرجا، وبدأت تصرخ وتصرخ تفتح الباب لعلها تنجو من هذا الجحيم، وفتحت الباب بمعجزة فوجدت زوجها كان يهم أن يفتحه فصرخت عندما رأته صرخة استغاثة:

- مصطفى أغثني.لم أعد أطيق ما يحدث، أخرجني من هنا أرجوك.

حتى سقطت مغشيا عليها بين يديه.

عندما عادت وفاء إلى الوعي، وجدت نفسها في حضن والدتها تضمها إليها بحنان تقرأ عليها ما تيسر من القرآن.

ظلت وفاء تبكي في حضنها وهي تقول:

- لم أعد أحتمل أمي ما يحدث لي، ولا ذلك الصوت اللعين الذي يلاحقني.

- اهدئي حبيبتي وابقي معنا حتى نجد حلا لما يحدث والله المستعان.

ظلت في حضنها، تتشبث بها ووالدتها تضمها إليها تغذيها بكلمات الأمان حتى نامت.

ترك مصطفى زوجته في بيت أبيها حتى تتوازن نفسيتها، ثم عاد إلى شقته جلس فيها يفكر في حال زوجته، ماذا حدث لها؟ وما ذلك الصوت الذي تدعي أنها تسمعه؟ وتلك الأشياء التي تتهشم كما تحكي، ثم يزفر في يأس لعدم معرفة سر ما يحدث لها، فينهض ليصنع لنفسه فنجان قهوة، فيأتيه نفس الصوت الذي يصدح بتردد مخيف:

- أعيدوني..أعيدووونى.

فيسقط من يده فنجان القهوة، يبتلع ريقه بخوف، ويقول لنفسه:

- هل ما سمعته حقيقي أم أنه من كثرة تفكيري في الموضوع، بدأ عقلي يتوهم، ظل يلتفت يمينا وشمالا، كأنه يتأكد أن ما سمعه ماهو إلا خيالات، ولكن الصوت أتاه مرة أخرى بقوة:

- أعيدوني.أعيدوني. أعيدوني.

رجفة قوية أصابت جسده يقول، وأنفاسه تخرج بزفير مختلط بالخوف،:

- لالم تخدعني أذني ولم أتخيل، إذا زوجتى أيضا لا تتوهم.

ترك شقته وذهب إلى زوجته فى بيت أبيها، وحكى لوالدة زوجته وأخيها ما حدث معه ثم أردف:

- هناك شئ غير عادي يحدث، زوجتي لا تهذي ولا تتخيل أنا سمعت الصوت بأذني صوت يقول:

- أعيدوني.أعيدوني.

فماذا نفعل؟

تكلمت والدة وفاء والقلق على ابنتها اعتصر قلبها:

- أنا سوف أصطحبها غدا معي إلى الشيخ عزيز.

قال رشاد وهو يلوي فمه بأسف وبعدم اقتناع:

- ياأمى اتركي هذا الجهل، فلن يجدى لابد أن نصطحبها إلى طبيب نفسي.

فنهضت وهي تصيح والخوف على ابنتها يفتّت قلبها:

- لا. بل سأذهب بها للشيخ عزيز، فهو من يساعدها ويتفهم حالتها، لن أنتظر وأنا أرى ابنتي تضيع مني وتنهار هكذا.

وفي المساء اصطحبتها إلى الشيخ عزيز، وهو رجل مسن بلغ خمسين عاما يرتدى جلبابا صعيديا، ذو لحية بيضاء خفيفة.

قصت عليه وفاء ما يحدث لها، يستمع لها باهتمام ويده تداعب ذقنه في تفكير، وبعد أن أنهت وفاء حديثها، وكانت تبدو كالمريضة لسنوات قال لها الشيخ عزيز:

- قولي لي ياوفاء هل أنت لم تعيدى العظمة إلى مكانها؟

ضيقت وفاء عينيها في تساؤل وأردفت بتعجب من سؤاله؟

- أى عظمة ياشيخنا؟

- العظمة ياوفاء؟

قبل ثلاثة أشهر من هذه الأحداث ذهبت وفاء إلى الشيخ سالم، تشتكي له من عدم إنجابها، فقد تزوجت منذ عامين ولم يرزقها الله بمولود، وذهبت إلى العديد من الأطباء وكانوا يقولون لها إنها وزوجها ليس لديهم ما يمنع الحمل، وإنما هي إرادة الله، وما عليهم سوى الآنتظار.

وأشارت عليها جارتها بالذهاب إلى الشيخ عزيز، ربما يكون تأخر الحمل بسبب الكبسة أوالمشاهرة كما يطلقون عليها في المناطق الريفية (وهي دخول أحد الأشخاص على المرأة في حالات معينة مثل الختان، أو المخاض، أو فطام المولود) فمن غير الجائز دخول امرأة متزوجة حديثا إلى بيت به طفل لم يشفَ من الختان، أو ذهاب امرأة وضعت مولودها حديثا إلى أخرى مثلها قبل ظهور هلال الشهر العربي الجديد، لأن ذلك في اعتقادهم يتسبب في العقم أو جفاف الحليب في ثدي الأم.

ولأن وفاء حلم حياتها أن تنجب، وغريزة الأمومة أقوى من أى شئ، فقررت أن تتبع هذه العادات التي توارثتها الأجيال، وقصت

لوالدتها ما اقترحته عليه جارتها، وكحال أي أم تريد لابنتها السعادة وتسلك معها أى سبيل لتحقيق تلك السعادة، وذهبت معها إلى الشيخ عزيز هذا واقترح عليها أن تأتي بعظمة من عظام الميت وتخطو عليها سبع مرات، وفعلت وفاء كما قال لها الشيخ عزيز، ولكن وفاء احتفظت بالعظمة داخل الخزانة.

وعندما تذكرت وفاء العظمة وهى تردف بلهفة:

- آآاه العظمة. لقد تذكرت نعم ياشيخنا أنا احتفظت بالعظمة داخل الخزانة.

فهز رأسه بضيق قبل أن يقول بتوبيخ رقيق:

- كان يجب عليك أن تعيدي العظمة إلى مكانها ياوفاء، ذلك الصوت الذي كنت تسمعينه إنه صوت العظمة، كانت تناديك لكي تعيدها لباقي أجزائها في القبر.

نظرت له وفاء باندهاش وتعجب تسأله غير مصدقة:

- أكل هذا الذي حدث لي لأني احتفظت بالعظمة داخل الخزانة ولم أعدها مكانها.

- نعم كان يجب عليك أن تعيديها فورا.

والدة وفاء وهي تداعب ذقنها باندهاش:

- إذا لابد لنا من إعادة العظمة مكانها في القبر سريعا حتى نرحم ابنتي من سماع تلك الأصوات مرة أخرى، ولا ترى تلك الأشياء الغريبة التي كانت تحدث في شقتها.

فأكد الشيخ عزيز بعينيه:

- نعم.لن تسمع الأصوات مرة أخرى ولن يحدث معها إلا كل خير بإذن الله.

وعندما عادوا إلى البيت قصت ما حدث على مصطفى زوجها ورشاد أخيها، واندهاش الرجلين لما سمعا، وكأنهما لم يصدقا ما حدث، ولكن مصطفى قال:

- قد يكون كلامه صحيحا، أنا سوف أذهب توا وأعيد العظمة إلى مكانها، ونرى ماالذي يحدث؟

وفعلا قام مصطفى بإعادة العظمة إلى مكانها، والغريب أن كل شيء عاد كما كان: الملابس إلى الخزانة؟ والكؤوس التى تهشمت والأطباق بحالتها أيضا، واختفى الصوت المخيف؟ ولم يعد يتردد مرة أخرى؟ وسكن كل شئ حولها.

وتبقى هناك أشياء خفية تحدث في ذلك الكون الواسع، أشياء ليس لها تفسير علمي، وليس له علاج سوى رحمة الله.

***

إرادة الإله

فاطيما أبو زيد

يَخْطُو بتأنٍّ ويتقدم بثقة إلى الأمام، بينما صدى صوت الابتهالات المتناغمة تهتز لها ألباب وجوارح الخاشعين، فتبعث فى النفس طمئنانية دافئة وسلام يجتاح أرجاء (معبد الكرنك) بأكمله، لينضم بحركة خفيفة تشبه السكون فى تأثيره المدعوم، للصفوف الراكعين، يبتهلون فى خشوع لسيد الآلهة وخالق الأرض والسماء (آمون) رب الكون وخالقه، وربما لم يجد الخشوع مكانًا بقلبه فتسلل الخبث إليه بدلًا منه، فاتخذ عينيه الضيقتين مكمنًا له، وراح يقلبهما بين وجوه الحاضرين الغائبين بواحة الإيمان، بنظرات مُتَبجحة لئيمة يغزو بها ثنايا الملامح الساكنة، عله ينفذ داخل أرواحهم، فيطلع على ما تحويه من خبايا وأسرار بعيدة عن قبضتيه، ولما فرغوا من الصلاة أنفض جموع المصلين، وبَقِيَ وحده مغمض العينين يستشعر خشوعه الزائف ببعض الهمهمات، حتى وجد مَن يتكأ على كتفه، فأشاح

برأسه للوراء، فوجده صديقه ورفيق سنوات دراسته بمدرسة المعهد (حارنوفيس)، قائلًا بعفويته المعهودة معه ضاحكًا:

- أنت هكذا دائمًا يا يادا؟! وجودك كعدمه لا يشعر المرء بغيابك أو حضورك كالطيف خفيف الأثر.

فتولدت ابتسامة جانبية متكلفة على شفاه (يادا)، ثم اعتدل فى جلسة لاستكمال تلاوة الابتهالات، لكن منعه إعلان عاجل عن قدوم موكب خاص مفاجئ دون ترتيب أو سابق إنذار، يحمل الملكة (حتشبسوت) وابنة أخيها الملك (تحتمس الثالث) فى الطريق إلى المعبد، لتقديم القرابين وأخذ البركات من سيد الآلهة (آمون)، فهب (يادا) بغتة مادا قامته فى ثبات ينتظر بلهفة لقاء الملكة بنظرات يملؤها الحماس ويشوبها الغموض، الذى ما أن لمحه (حارنوفيس) بَادِيًا على قسمات وجهه، حتى أيقن مما كان يشك به من ناحيته، ومن طموحه العنيد للتقرب من الملكة مهما كان الثمن، كما فعل غيره من رجال الدولة وبعض الكهنة، وفى المقابل ترتفع مكانتهم فى الدولة، وسيعود النفع بالطبع على الملكة نفسها، وستزيد فرصتها هى أيضًا فى وضع قبضتها على حكم مصر، دون مشاركة فى الحكم كما هو الحال حاليًا مع الملك الصغير (تحتمس الثالث).

- أخيرًا عزيمتي قد بُعثت من جديد.

قالها (يادا) بنبرة ذات مغزى خافتة، لكنها رنت على مسامع (حارنوفيس)، فما أن التفت إليه (يادا) حتى أرخى نظراته المتفحصة به فجعلها أكثر وداعة ولينا، بينما مرت طقوس تقديم القرابين بوتيرة بطيئة وكأن الملكة تمادت فى افتعال هذا المسار البطيء عن قصد، فلم يتحمل الملك الشاب فثار باندفاع الشباب وعاد إلى القصر ومعه حاشيته، مما جعل اجتماع الملكة بكهنة المعبد بجميع طوائفهم سهلا دون تقيد.

- لقد اجتمعت بكم اليوم حتى ألقى عليكم ما رأيت من رؤيا صادقة وحقيقية فأنتم تعرفون أن لا حيلة ليَّ من الكذب أوالخداع.

قالتها (حتشبسوت) بنبرة واثقة فى ثبات دون أن يختلج لها طرف، ولما عمت الهمهمات والتساؤلات في القاعة، تابعت (حتشبسوت) بنبرتها الثابتة فى حزم ليصمت الجميع فى رضوخ، بينما شددت على كلامها فقالت:

- إنما جئت إليكم لأخبركم بما حلمت به وهو أن الإله آمون رب الكون قد جاءني وقد نصبي على العرش بصفتي ابنة من أبناء آمون، وبما أن حكم مصر يعتمد اعتمادًا كليًا على رضاكم ككهنة للمعبد سيد الآلهة بالدرجة الأولى، أخبرتكم وأنا على ثقة تامة من إخلاصكم للإله آمون وأبنائه.

وببعض الكلمات الحاسمة والمقاطعة تمكنت (حتشبسوت) على الفور من الحصول على موافقة جميع الكهنة بجعلها ملكة على عرش مصر، إلا أن الشعب لم يتقبل ببساطة أن تتولى حكمهم امرأة، بل أن معظم الشعب لم يتقبل فكرة الغموض حول مقتل زوجها الملك (تحتمس الثاني)، بل اتهمها بعضهم بتهمة قتله للوصول إلى العرش، فعلى الرغم من كل ما يحدث لم يكن (يادا) مشغولًا سوى بأمر واحد وهو كيف له أن يتقرب من الملكة قبل تنصيبها كحاكم فعلي للبلاد، فحينها لن تسنح له الفرصة أبدا، فما يؤمن به هو أن لم يكن اليوم فلن يكون غدا.

- ألا تخف من أن يأتي اليوم الذى ينكشف فيه نواياك الخبيثة.

قالها (حارنوفيس) بنبرة محذرة ذات مغزى لصديقه (يادا) الذى رمقه بنظرات فاترة، ليجيبه متخابثًا:

- وكيف سيأتي ذاك اليوم مادمت على عهدي بك.

سأله (حارنوفيس) مستنكرًا كلماته المبهمة:

- أي عهد؟!

- لا تتصورني غبيًا، فعلى الرغم من إنك تتخذ جميع الاحتياطات لإخفاء سرك الدفين، إلا أنني على دارية كاملة بما تمارسه فى الخفاء من دراسة وبحث عن علم السحر وخباياه، فربما تكون قد نسيت

بأنك من الكهنة المرتلين، إلا أن ذلك لم يمنعك من الاستمرار فى تعلم السحر غير المسموح لأمثالنا.

ساد الصمت الحذر بينهما للحظات، حتى كسره (حارنوفيس) قائلًا فى تحدٍّ واضح:

- أعتبر هذا تهديدًا صريحًا ليَّ.

أجابه (يادا) فى برود يفضح مكنون نواياه الخبيثة:

- لا بل هو مجرد تبليغ لك عما أعرفه عنك.

كانت تلك هى المواجهة الأولى والأخيرة بينهما كصدقين وقد انتهت صلتهما ببعض فى العلن، أما عن الخفاء لم يترك (حارنوفيس) (يادا) وحيدًا بل تابعه كظله، يعد عليه أنفاسه وحركاته، بينما (يادا) منشغل بعالمه الخاص الذى يحكمانه، طموحه الشرس وجراءته البربرية، ليطالب بمقابلة الملكة (حتشبسوت) بنفسها على انفراد، قبل البدء بالاحتفالات بتنصيبها كحاكم فعلي، ولأنها مضطرة لمجاراته فى مقابلتها حتى تكشف ما يضمره لها من نوايا، فهو مجرد كاهن مرتل ألا أن ذلك لن يمنعه من هدم كل ما فعلته بكلمة واحدة تشوه صورتها أو نشر اشاعة مغرضة عنها يؤكد بها قتلها لزوجها للحصول على العرش كما هومذاع بين فئات الشعب.

- أرجو بألا أكون قد تطفلت على وقت راحة ملكتي المُبجلة

قالها (يادا) بنبرته الماكرة والصريحة وكأنه كشف بجراءة عن نواياه، وقد استقبلتها بنظرات ثاقبة حادة، ليتابع حديثه ولكن بلهجة جادة ملفتة:

- هل اطمأنت ملكتي هكذا بهذه السهولة فى حصولها على الحكم بعد نشر تلك الرؤية الساذجة أعتذر عن التعبير لكنها أكثر الرؤى عبثية مرت عليَّ.

أسلوبه الأَهْوَج وغباء عدم تقديره مع منَ يتحدث إليه، حول هالة الثابت والهدوء الزائف اللذان تتشح بهما الملكة يحترقان كالرماد بلحظة واحدة، لتعصف به رياح غضبها العاتي، هادرة به كالرعد تصرخ عليه بعنجهية الملوك:

- أوصلت بك الجرأة على مخاطبتي هكذا، بل وتطاول عليَّ أنا حتشبسوت ملكة مصر وابنة آمون.

تمكنت الرهبة من (يادا) فأخذ الارتباك يكسو معالم وجهه، بينما تابعت هى فى قسوة تليق بمكانتها كملكة وكابنة إله:

- لن يأتي عليك ليل هذا اليوم إيها الأرعن يجب أن تُدفن بمكانك حالا.

فقال مرتعدًا فى ذُل وخنوع، عله يستعطف قلبها الراكد بين جنبات كبريائها الصلب:

- يبدو أن ملكتي المبجلة ابنة آمون العظيم لم تلاحظ ما أرنو إليه.

رمقته بنظرة حادة محتقرة، ثم سألته فى جمود:

- وما هو هذا الشأن العظيم الذى جعل منك مجرد أبله عفنا يتجرأ على المساس بمكانة ملكته؟

أجابه معتذرًا عله يغطي على جراءته معها فى الحديث، ليقال بتملق زائد محاولًا محوما أقدم عليه من حماقة وسوء تصرف معها:

- أقدم اعتذاري الشديد إليكِ ملكتي العظيمة يا مَن يخشى لها صفوف وصفوف من الرجال الأقوياء والأوفياء، يا مَن يخشى القمر ضوءها الباهي وتشرق الشمس لأجلها، فقط أقدم اعتذاري يا مَن تخشى لها الجبال بشموخها خجلًا مما فعلت، وها أنا أقدم لكِ روحي فداء لكِ يا درة البلاد ولكن قبل أن أودع الدنيا يجب أن أصارحكِ بما كنت أرنو إليه لأجل مصلحتكِ أنتِ وحدكِ مولاتي.

- أنت تتحدث عن مصلحتي أنا.

قالتها باستخفاف واضح تهز كتفيها فى استهانة

أجابها فى سرعة موضحًا وكأنه قد وضع يده على غايته أخيرًا وهو الفضول، الذى قد اجتاح حواس الملكة لمعرفة ما يخفيه عنها:

- أجل مصلحتكِ يا مولاتي هذا ما أهتم به وأضعه نصب عيني دائمًا منذ توليتكِ لحكم البلاد مناصفة مع الملك الصغير.

استطرد فى ارتياح وهدوء، بعد أن اعتزم أنه أصبح قادرًا على سبر أغوار الملكة، التى كانت تتلقى كلماته بنظرات فاترة جامدة:

- ما قصدته بأنها رؤيا هزيلة أكثر من أنها قوية؛ فشعب مصر ليس كغيره من الشعوب الراضخة الذليلة إنما هو شعب قوي ثائر بطبيعته لا يرضى بالذل أوالمهانة أحيانًا يخدعكِ بالرضوخ والاستسلام ثم بغتة ودون أي إنذارات يتحول ويثور ثورته الجامحة وحينها لن تتمكني من إلجامه حتى ولو بالقوة ولكي يلين ويستجيب لفكرة تنصيب امرأة كحاكم عليهم علينا بأن نأتي بالدلائل والبراهين لنثبت لهم صدق الرؤيا.

ظلت على وضعها ترمقه فى بفتور على عكس ما يدور بخلدها، فكلامه به شئ من الصحة عن شعب مصر وقوة ثورته، ولكن لَمَ عليه الوثوق به، فمن الممكن أن يكون مجرد طعم لحيلة من حيل (تحتمس الثالث) الملك الصغير للإيقاع بها، وبينما هى غارقة فى شرودها أخرجها (يادا) بمبرراته الماكرة، وكأنه يحاصر تفكيرها من كل الاتجاهات، فراح يقول مؤكدًا على كلماته:

- ولا تنسي يا مولاتي ما يتفوه به البعض بعد أن قام أحد كهنة معبد الكرنك بنشر إشاعة خبيثة بأن الملك الراحل تحتمس الثاني كان موصيا قبل أن يموت بتولي ابنه تحتمس الثالث الحكم من بعده.

رمقته الملكة بحدة، فاستطرد (يادا) فى سرعة:

- إنما كل ما أرجوه من مولاتي أن تعتبرني أحد خدامها الأوفياء سنموت مدير بيت آمون والمربى الأول للأمير نفرورع.

وكأنها لم تنتبه لما قاله عن (سنموت) أهم رجالها، بل أنها تغاضت عنه عن قصد، فسألته بلهجة جامدة محتقرة:

- وما الذى ستقدمه لىَّ يا هذا فى المقابل بطلبك؟!

أجاب فى سرعة بحماس ظاهر:

- أن ما أستطيع أن أقدمه لكِ مولاتي المبجلة هو أن يختاركِ الإله آمون بنفسه أمام جموع الشعب حتى نثبت لهم عكس ما كانوا يتوقعون تمامًا.

- حسنًا ها أنا أستمع إليك أكمل.

تشجع (يادا) ورفعته الملكة إلى حد عنان السماء باستماعها الصامت له، فأخبرها عن إمكانياته فى ممارسة علم السحر، وكان مبرره فى معرفته وممارسته المستمرة لهذا العلم، هو نزول هبة الإله

(آمون) عليه بليلة مقمرة، فقد اصطفاه هو وحده دون جميع الكهنة المرتلين بحجة إيمانه الشديد بأحقية الملكة فى حكم البلاد، وكأن مبرره الواهي هذا مر مرور الكرام عليها، فلم يكن على علم بوجود روح ثالثة معهما، تسترق السمع لكل نفس ولكل حرف ينطق به لسان (يادا)، بموافقة الملكة كان (سنموت) الشاهد الصامت على أحداث تلك المقابلة حاله كحال الجدران من حوله، فإنه لن يترك المجال مفتوحًا لغيره للوصول إلى مستواه مهما بلغ من مكانة.

- أسمعت ما قاله ذاك النكرة وما عزم به فى تنفيذ ما لمح له بجعل سيد الآلهة آمون يختارني بنفسه كحاكم للبلاد أمام جموع الشعب.

قالتها (حتشبسوت) بثبات وجمود تحاول التلميح به عما تنوى، عما تريده، لـ (سنموت) بئر أسرارها ومركز ثقتها، ليأتيها إجابته بنبرته الرزينة الهادئة والواثقة مما تعبر به:

- سمعت ورأيت وقد اتخذت القرار من بعد إذن مولاتي بالسماح لي بتنفيذ بالطبع.

- أوافق على قرار دون مراجعته بتلك البساطة؟!

سألته (حتشبسوت) مبتسمة بنظرات ذات مغزى، تلقاها (سنموت) بابتسامة واثقة، فهو على يقين مما رمت إليه، فلم يخيب ظنها به ولو لمرة، فتابعت بثقة هى تنظر إليه بعينيها الواسعتين وقد توهج بهما بريق خاطف للألباب:

- مهما كانت قسوة قرارك أريد معرفته حتى أوافق عليه.

أجابها (سنموت) بأريحية وكأنه يحدث نفسه، دون قيود أو حواجز:

- ما يريده وما يتوق لتنفيذه سنعطيه الفرصة، بل وسنجعله ينفذها بنفسه مهما كانت النتائج.

- مهما كانت النتائج؟ كيف ذلك؟

فأجابها دون أن يضطرب أو يتهدج صوته:

- أرجو من مولاتي حتشبسوت أن تنتظر وتميل قليلًا للصبر حتى يحين وقت الاختيار ولحظة الآنتصار.

وكما وعد (سنموت) ملكته بإنهاء قصة ذلك المُتبجح الصغير، سيوفي بعهده عن طريق مساعده الجديد وتلميذه المخلص النجيب (حارنوفيس)، الذى أصبح يكن لصديقه كل الكراهية، فلقد أخلف عهد الصداقة بينه وبين (يادا)، فلن يعود لـ (يادا) وجود مهما كان الثمن، ليتقابلا ثانيًا بعد آخر موقف مشحون بعدهما، فى ردهة صالة قدس الأقداس، والتقت الأعين بعد فترة من الابتعاد، انساق خلالها كل واحد منهما وراء رغباته.

- ها أنت أراك ثانيًا يا لها من مصادفة غريبة.

قالها (حارنوفيس) بنبرة متهكمة هازئة:

- تقصد يا لحسن حظك وسعادتك فى مقابلة أحد رجال الملكة؟

قالها (يادا) بعنجهية وغرور يثبت من خلالهما نجاحه فى الوصول لمبتغاه، بينما ظل (حارنوفيس) يرمقه بنظرات جامدة يشع منها توهج قوي، لم يلاحظه (يادا) ليقول (حارنوفيس) بعد لحظات قليلة من الصمت، فى جمود:

- إنني أؤمن بمقولة واحدة وأثق بها كما أثق بنفسي تمام الثقة.

طالعه (يادا) بنظرات فاترة لا مبالية، ثم قال فى تهكم:

- وما هى تلك المقولة ومَن قائلها هيا أخبرني الآن فربما فى الغد القريب لن تتمكن من الوقوف أمامي أو التحدث إلى كما تفعل الآن.

تقدم (حارنوفيس) نحوه بخطوات ثابتة متزنة، بينما قسمات وجهه الجامد لا تبشر بالخير، ثم قال بلهجة قوية تحمل صدًى عاليًا وواضحًا:

- أن كان عليك الارتفاع إلى عنان السماء فارتفع وحدك ولا تلقى بالًا لرغبات الأخرين حتى ولوبالتخلص منهم.

أطبق (حارنوفيس) فمه، ثم أخذ يصدر همهمات غريبة وهومطبق الفم كأنه يستدعي شيء ما، تجاهل (يادا) ما يفعله فراح يتخطه بخطوات سريعة لكن قبضة (حارنوفيس) كانت الأقرب

إليه، فقد أطبقها على مؤخرة عنقه وأخذ يعتصرها بقسوة وكأنها فك كلبًا مسعور يغرز انيابه بقسوة فتتغلغل داخل عنق (يادا)، ومازال مستمراً بالهمهمة بصوتًا رخيمًا قاسيًا وفمه مطبق، بينما كان جسد (يادا) بين قبضته القاسية ينتفض كالذبيحة، فلما شعر (حارنوفيس) بتهشيم عظم القزالي بمؤخرة رأس (يادا) أزاح قبضته بهدوء من على عنقه، ليتركه معتصراً بالفعل وكأنه لم يكون يحوى بداخله أي عظمة، ليسقط جسده ويرتطم بقسوة على سطح الأرضية الخشونة، فأخذ جسده ينتفض بقوة يراقب تحركات (حارنوفيس) الهادئة حوله بملامح وجهه المُرتاعة ونظرات يملؤها الفزع والرعب، بينما راحت الدماء تسيل من فمه، حاول الزحف بعيدًا ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، فخالة جسده المنتفض والمسجّى على الأرض كقطعة القماش المهترئة لا تساعده، دار بعينيه المفزعتان بالأرجاء حوله علّه يجد مَن ينقذه من ذلك الوحش القابع بجانبه، يجلس مقرفص يراقب حالته المزرية بأعين متوهجة وابتسامة شرسة واسعة

- أين هى ملكتك الآن لتأخذ بيدك الضعيفة هذه وتنقذك يا يادا المسكين.

قالها (حارنوفيس) بنبرة هازئة متشفية، ليتابع بغل واضح:

- صدقني يا يادا لن يقدر أحد أيًّا مَن كان على تخليصك من بين قبضتي تلك لأنك لا تستحق أكثر مني فهمت.

رفع (حارنوفيس) ذراعيه عاليًا، وراح يلوح بهما بعشوائية فى الهواء بحركة دائرية، لتهب فجأة رياح باردة عاتية، تطفي نيران المشاعل المُعلقة بالجدران، لتهتز أرض صالة قدس الاقداس ومعها يهتز جسد (يادا) بقوة، كحبات الرمل المبعثرة، بينما هب (حارنوفيس) من جلسته فردًا قامته فى ثابت تام، وكأنه يقف وحده على أرض ثابتة، هاتف بنبرة عالية خشنة، توقفت على أثرها الرياح العاتية ومعها اهتزازة الأرض، فاشتعلت نيران المشاعل من جديد وكأن شيء لم يكون، ليقول هاتفًا:

- هيا اخرجوا من محجركم فوجبتكم بانتظاركم.

أدار (يادا) عينيه بجفنيه الثقلين حوله، فإذ به يرى حشودا من الأفاعي يزحفون بسرعة باتجاه من كل حدب وصوب.

- هيا تقدموا ولا تخشوه فهو الآن سينال جزاءه الذى يستحقه.

قالها (حارنوفيس) متفشيًا، لتمتثل حشود الأفاعي لأمره، وتقترب من جسد (يادا) الذى راح يصرخ فى ارتياع، بينما كانت أنياب الأفاعي تغرز وتفترس أنحاء جسده كله، وأتى موعد الإعلان عن اختيار سيد الآلهة (آمون) للحاكم الفعلي للبلاد مباشرة أمام الشعب، فتم التحضير للاستقبال نزول روح سيد الكون عن تمثاله الذهبي المحصن بالحماية الكاملة من حرس القصر الملكي الأقوياء،

محمولًا على الأكتاف، وأصبحت (حتشبسوت) على أتم الاستعداد، للاستقبال خبر براءتها من تهمة قتل زوجها، والأهم هو تنصيبها على العرش وبجانبها (سنموت) كظلها المخلص يتابع مجرى الأمور بهدوئه المعتاد وثباته العتيد، بينما ظل الملك الصغير (تحتمس الثالث) متأهبا لذلك الحدث النادر الحدث واضعًا ثقته الكاملة فى عدل الإله باختياره هو لإثبات أحقيته فى حكم مصر، فتقدم الكاهن الأكبر (حبوسنب) كبير كهنة معبد الكرنك وبجانبه الكاهن المرتل (حارنوفيس) يحمل بين يديه جرة بخار صغيرة الحجم، اقتربا معا من شعلة النيران المُهيئة لإتمام الطقوس، وخلفهما يقبع تمثال الإله الذهبي محمولًا، فراح (حبوسنب) يلقى ابتهالات فى حب الإله ووراءه يردد جموع الشعب فى خشوع، وما أن انتهى حتى أشار لـ (حارنوفيس) بالاقتراب، ليبسط يديه الحاملة للجرة المائلة باتجاه لهب النيران، لينزل منها رماد أسود اللون زاد من لهب الاشتعال، الذى على أثره اهتز تمثال الإله (أمون) بقوة، ثم مال بغتة ناحية جهة اليمين المتواجدة بها (حتشبسوت)، ليكون أمرًا مباشرًا من (آمون) لتكون حاكمًا فعليًا لمصر، وحدث ما خطط له (يادا) بمساعدة بسيطة من رفيق دراسته (حارنوفيس)، لتتلقى عينه بأعين (سنموت) الثاقبة يهنئان بعضهما البعض، فقد كان لـ (سنموت) الفضل الأول فى تعلم السحر المحتكر فقط على أبناء السحرة وأبناء كبار الدولة، ليشرف بنفسه على مراحل

تعليمه، لغاية فى نفسه للتأمين مما يخشاه، من بطش رجال الدولة من حوله أو بطش الملكة المفاجئ عليه.

- ألم أقل لك يا صديقي (يادا) بأن وجودك كعدمه، لم يشعر أي أحد بتضحيتك بنفسك من أجل الملكة، حتى رمادك كان كالطيف لطيف كنسيم الليل العليل قوي الأثر كهب رياح الشتاء القاسية.

قالها (حارنوفيس) بلهجة فاترة بابتسامة متشفية وأعين يكسوها السواد.

***

الملكة باستت

إيناس العراقي (mai zada)

- أنهينا العمل مولاتي. هل تريدين إلقاء النظرة الأخيرة.

ترفع رأسها وبعيون مسهده تنظر للكاهن وتخبره أنها آتية.

تستند إلى طاولة الزينة تعدل من كحل عينيها لتلقاه بأبهي صورة يليق بالوداع، تسمع طرق نعلها على الأرض الحجرية. بتلك الخطوات التي تعلم أنها الأخيرة بينهما. ويل لها سخمت، هي السبب بغضبها ورعونتها، خسرت الروح السابعة بهذا الزمان مبكرا.

وسط تهيب الكهنة رفعت أصبعها تلمس الرداء الأبيض لجسد المسجاة الصغير أمامها. همست بأذنها بكلمات لم يسمعها أحد.

التفتت للكاهن و..

- ميار أفيقي يا حلوتي أنها السابعة.

٢٠١٩م

افاقت ميار واللهاث يقطع أنفاسها، كانت تريد تلك المرة معرفة ماذا ستقول للكاهن.

- حاضر يا أمي صباح الخير.

ارتدت ملابسها علي عجل وعقلها منشغل بذلك الحلم الذى ما انفك يتكرر. حتي باتت تنتظره، عمل عقلها على التدخل ومسارعة الأحداث لتكمل. لتفهم. لتعرف الرسالة منه.

بلا فائدة، مهما راودت الوقت وعدد ساعات النوم ومحاولة التفسير لا جدوي. تكون هناك بكلها وملامحها التي تطالعها بطاولة الزينة. تلمس مكحلة بنت كيمت وتعدل بها عينيها تلك التي تحمل لون الزرع والسماء معا.

قطع حبل أفكارها رنين الهاتف برسالة من خطيبها يدعوها لفنجان قهوة بموعد يعرف أنه لا يناسبها ولكنه يفعل علي إية حال.

لم تسمع خطواتها على السجاد السميك بالممر الطويل الفاصل بين غرفتها وباب الخروج، لكنها سمعت طرق الخُف الأثري الذي كانت ترتديه بالحلم وهو يعانق حجرا..

- كفي يا ميار ستصابين بالجنون جراء حلم أحمق.

حدثت نفسها وابتسامة أخرى تلمع بعقلها تلك التي تكونها، هناك واقع أكثر منها هنا.

السادسة مساءً.

صوت المصعد الصاعد واحتكاكه المزعج يثير اعصابي وهؤلاء الملاعين الصغار أبناء الجيران أصواتهم تصيبني بالجنون. من ذاك المتأخر الذى تغزل فيهم يوما ووصفهم بالملائكة. شياطين تعربد بالعقل والروح وتجعلك ترتكب كافة الجرائم المحرمة دوليا بكل راحة.

توقف المصعد.

ماهذا الظلام. تبًا لجارنا البخيل الذى يطفئ مصباح الممرات هكذا سيوفر بالكهرباء، جنون كل ما يحدث يبعث على الجنون.

تحسست طريقها لاقرب مفتاح كهرباء، خطوة اثنين ما هذا تعثرت أو خطت علي فراء ناعم ولا صدر أي صوت كاد قلبها أن يعلن اكتفاء لهذا اليوم بتوقف سريع بلا ألم يكفي الخوف.

أضاءت الطرقة لتجد تلك القابعة أمامها تستند على أرجلها الخلفية مثبتة نظراتها عليها.

جفلت ميار وهمست لها آسفة.

لم تحرك تلك الطاغية الصامتة ساكنًا. وذيلها السميك مرابض، جانبها حتما هذا ما خطت عليه ولكن كيف لم تصرخ ولا صدر لها صوت.

بحثت بعينيها أرجاء المكان لم تجد لغيرها ظلا.

لملمت شتات روحها وحاولت إكمال الطريق لشقتها ولم تتحرك القطة فقط تابعتها بعينيها التي شعرت بها ميار تخترق كيانها تنفذ إليها.

حدثت نفسها بلا صوت:

«هي مجرد هرة بائسة لا ملجأ لها، إجهادك هو ما يصور لكِ كل ما يحدث».

دلفت لبيتها وأوصالها ترتعد بلا سبب واضح وجنون يعتريها أن تذهب إلى القطة تحدثها.

هزت رأسها تنفض عنها أفكار الخبال التي بدأت تغزوها.

الثانية عشر بعد منتصف الحلم، وقبل سماعها لطرقات الصندل الأثري المعانق للحجر أفاقت. عيناها مفتوحتان وعقلها يقظ كأنها ما نامت.

والصمت يلف جدران المنزل، اطمأنت على والدتها النائمة وتفقدت هاتفها لارسائل ولا اتصال، فخطيبها العزيز أدى مهمة الاهتمام برسالة الصباح الفارغة المعنى واكتفى، لم يكلف نفسه حتى عناء متابعة الرد.

بحثت عن كتاب يساعدها لمعاودة النوم. وهي بمنتصف الطريق بين المكتبة والأريكة، قررت الاطمئنان على القطة ساكنة سلالم بنياتها تلك التي لا يحبها الجميع وسعوا أكثر من مرة لإبعادها من هنا. يقول البعض أن مواءها مرعب ومزعج ولكنها لم تسمع لها صوتا أبدا.

ربما يخشون سوادها الغالب على بعض نقاط البياض بفرائها. ولكنها أفزعتني اليوم فعلًا.

وليكن سأذهب لأراها حتما ذهبت تبحث عن طعام أو لتستمتع بصيد هادئ بعيدا عن مطاردات البشر.

أزاحت المزلاج بهدوء حتى لا تزعج والدتها.

وما أن شرعت في فتح الباب حتى وجدتها أمامها كما تركتها منذ ساعات، فقط أدارت لها رأسها كأنها بانتظارها.

قشعريرة أصابت ميار، ورغم ذلك جلست القرفصاء بمدخل شقتها لا تقطع تواصل نظراتهما وأخذت تحدثها.

«لن أكون عنصرية مثل الآخرين وأكرهك بناء على لونك وجمودك أو ذلك الصوت الذى يزعم البعض أنه مرعب».

فقط دعيني أدعوك إلى وجبة خفيفة تقيم جوعك، أنا لم أراك يوما تأكلين.

تتابعها الهرة بعينيها ولا تتحرك بها شعرة. أكملت ميار:

من يراني الآن أحدثك سيظن بي الخبال. لكني حقا أريد مساعدتك وإطعامك.

ذهبت ميار وأحضرت بعض الرز المطبوخ والماء، وعادت فوجدتها كما هي لم تتحرك، وكأنها تمثال من تماثيل الماو.

لم تحاول حتي الدخول إلى المنزل كما يحلوللقطط أن تفعل.

ما بال تلك الغريبة لا تتسلل ولا تموء ولا تتحرك؟!

ـخذي يا صغيرتي. كلي واشربي ولا تثيري الفوضى.

تبتسم ميار بسخرية: أي فوضى، وأنت لم تتحركي منذ أكثر من ست ساعات؟!

وضعت أمامها الطعام ولكن القطة لم تتحرك إليه.

أخذت فقط بضع قطرات من الماء، وعادت لجلستها الأبية.

تعجبت ميار لأمرها. حدثتها ثانيا يجب أن أذهب الآن سأترك لكِ الطعام هنا والماء، وأغلق الباب.

تصبحين على خير.

انتظرى ما اسمك قطتي؟

وضعت يدها على فمها تكتم ضحكتها.

حسنا أنتِ من اليوم ماو.

عمت مساءً ماو.

***

المشاعل تتحرك كالأفاعي التي كانت تكرهها وتطاردها دوما. وطرقات الخطوات تصم قلبي. ابنة رع تلك التي ستنصب بعد قليل بمتوالية الحياة والموت الخالية الرحمة.

أنا لا أريد ذلك الآن، يجب أن أعلنها لهم العنصر السابع فقط هو ما انتهى، ولكنها مازالت هنا يجب أن أبدأ بإعادتها، هو ذلك المغرور الذي تسبب في قتلها، أو ربما هي من غادرت كيف تفعلها بي؟

لم تكمل لي بعد ماذا سيحدث هل سأظل عالقة هنا بهذا الزمان والجسد؟!

قالت لي ذات يوم: «إن الغضب حل أخير لانتقل من باستت لسخمت ولكنه ليس كافيًا للخروج من المصفوفة ولكني لا أريد لا أريد.

صرخت بكامل صمتها وصوتها الداخلي يزلزلها عودي وأخبريني، عودي حتي لو اقتنصت مني واحدة، لا أبالي باكتمالها، الآن أريد أن أعرف، أريد أن أعرف.

***

السادسة صباحًا.

تستيقظ ميار بكامل نشاطها وغضب غريب يعتريها، تتذكر الحلم واللمحة الجديدة التي ظهرت به أنه تغير، لم يعد بنفس التفاصيل،

ولكنه بنفس المكان، هرعت لمكتبها تسجل الأحداث الجديدة، وجدت آخر تاريخ منذ أربعة أشهر كاملة، يتكرر بنفس النمط بلا تغير تساءلت.

ترى ما حدث جديدا.

تذكرت ماو وما فعلته معها وسجلت الموقف كاملا كما حدث.

نظرت لساعتها، وجدتها الثامنة والنصف.

اندهشت، كيف هذا، ألم تكن منذ قليل السادسة؟! لم تقف طويلا وهي متأخرة عن عملها بمركز البحوث حتما ستلقي تعنيفا من دكتورة منال التي تنتظر لها خطأ لتطلق عليها حنجرتها وتغرس بأذنها كلماتها العصماء عن احترام المواعيد ودقة العمل وأهمية وجود أولويات بالحياة.

دلفت إلى مكتبها وعقلها مشغول بتفاصيل الحلم، كانت بالسابق حاولت تفسيره عن طريق الإنترنت وسؤال بعض المشايخ، ولم يجب أحد، كذلك لجأت لطبيب أمراض نفسية وعصبية وأخبرها بكل الانغلاق والجهل الذى يكتنف روحها، وأن ما تحلم به انعكاس خوفها من فراق والدتها والخوف من الوحدة وخاصة أنها بالثلاثين ومازالت عزباء، وعندما أخبرته أنها مخطوبة وتنتظر مشروع زواج أخبرها أنه ربما يكون نذيرا بعدم اكتماله.

لم تهتم كثيرًا بما تحدثوا، فهي تملك من القناعة ما يكفيها لتعرف أنها تكون هناك بالفعل أنها تشهد حدثا عظيما وأنه بالتأكيد لها دور وسبب فيه.

اليوم قررت طرق باب جديد انبعث بداخلها قبسه بعدما أطلقت على هرة السلم ماو.

لِمَ لا تبحث في تاريخ كيمت عنما ترى كل ليلة؟!

تعرف اسمين مهمين الآن. الأول دعت به الرحلة والثاني دعت به نفسها.

سميخت وابنة رع.

أغلقت باب مكتبها وشغلت جهازها اللوحي وسبحت في بحر التاريخ، لم تشعر بالوقت وهي تشغل خيوط الحلم بما يعانق عينيها وفكرها.

باستت. سخمت.. ابنة رع.

رمز لإله النور أنثي تحمل بوجهها هرة مقدسة. ماو.

بكت عندما قرأت الاسم والتي لم تكن تدرى لِمَ اختارته أو من أين بدا لعقلها وقتها.

ربما هي الذاكرة الجمعية طمأنت نفسها وهي تعلم أنه لا.

أكملت البحث حتى ظهرت أمامها صورة ماو كما هي الآن متفردة بفرائها الرمادي الضارب السواد وبعض نقاط الضوء فيه لا تبين.

شردت طويلا. انتبهت لطرقات على الباب لعامل القسم ليخبرها أنها السابعة مساءً.

ما بال الوقت يمر بجنون هكذا. كيف لم أشعر به؟!

لملمت أشياءها، لنذهب لملاقاة ماو.

يجب أن تعرف منها ما يحدث، ستخبرها بالحلم وبما تراه وبزمان تحياه ووقت يفر منها، هنا ستخبرها بكل شئ، لم تعد تحتمل كل هذا الصخب..

وصلت لمدخل البناية، رأت شيئا غريبا بعض الشيء مجموعة من القطط المختلفة تجلس بالبهو أمام المصاعد بدائرة كاملة كأنهم في اجتماع.

لم يتحركوا لظهوري أو اقترابي كأنني هواء. عجبًا؟!

طلبت المصعد وعندما جاء وجدت ماو تنفصل عن الدائرة وتقف بجانبها، دخلت معها المصعد وما أن تحرك حتى أصدرت ذلك الصوت المرعب ووقفت علي قوائمها الخلفية. تمتد لأعلي وإلى اليمين واليسار وترتفع بكل تمدد لها، وقف المصعد بين الأدوار بلا سبب أو انقطاع الكهرباء.

الرهبة والرعب يعتصراني. وماو ينبت لها أقدام وصوتها يهدر بنفسي وهي مازالت على تمددها ترتفع لينبت لها خصر وتتشكل لها حنايا وصدر وأذرع موشومة برسوم، وأخيرا اكتملت لتصير بنفس طولي ووجهة قطة تحمل لون عينيَّ.

هي، كما أراني الحلم تماما ولكن بوجه قطة.

لا أستطيع الصراخ ولا حديث وصوت موائها يكبلني.

وأخيرًا تحدثت.

ماذا تظنين نفسك فاعلة هنا؟! ألم يكفكِ ما علمتِ إلى الآن. هذا الزمان لا يناسبك ولن تكوني به شيئا. عودي لمملكتك وقومك رع يريدك هناك.

ما ذهبتِ إليه في البحث عني لن يجدي، فقط شرذمك لفتات وجاء بك لزمن ضرير لا حكمة لكي فيه ولا سلطان. ثم أنك لم تنهي عملك هناك لتتحرى، أنا هنا بداخلك. وضعت بروحك نبتها ولكنك لم تعرفي يوما.

أنتِ ارتقيتِ بكل العناصر الست القوية العظمي فلا تصفي روحك بالعنصر السابع الفاضي.

هو فقط فضاء، انتقالي يحوينا إلى حين.

كتلك المسجاة التى تريها على محفة التحنيط. مركبة أدت مهمتها وفنيت. عنصر ضعيف يفتت بالوقت والزمن.

ذلك الأخير الذى اخترقته بكل الجهل كأني لم أعمل لك شيئا أبدا.

حاولت الرد أو الحديث.

جفت الكلمات بصدرى وتفتت بشفتي، أكملت هي:

«أنتِ هنا أفاتار غير حقيقي. دعاك رع بالاوعي علك تعودين.

أنتِ هناك ولست هنا.

أنتِ، حقيقة هناك بمعبدك وأرضك.

لا عبث بالزمن يا صغيرتي. كتب عليكِ مصيرك. عودي، حيث تنتمي دورك هناك لبناء، وبث وعودة بأشكال تعرفينها جيدا، أنتِ هنا لا شئ. ماذا فعلتِ، عندما وجدتني؟

لم تعرفيني؟!

أغرقت روحك برمادي الشك لا تخسري عناصرك، ستفني عندها حقا.

أنتِ الروح والمنح والسلام، هناك بالفراغ حيث عرفنا المدخل والمنتهى والنقاء.

أنتِ الزمن والرحلة والجمال.

عودي وكفى إهدارا للوقت.

تحدثت أخيرًا:

ولكنك تركتني، قبل أن أعلم تمام الاكتمال.

سر الروح وهبتها. كيف أعود وكيف أبقى؟! ذهبتِ بآخر شكل، لكن كنت أعرفه وتركتني، وحدي.

منعتهم بوضع السحر في جمجمتك أم بلمس قلادتك؟!

حنطوا صورتك الخارجية لتحفظ لك.

صه يا صغيرة أنا هنا أمامك. بمحتوى آخر غير ما تركت، أنا الكل افهمي. ذلك البالي الذبول ليس هو المشكلة أو الحل.

محتوى، أتشكل به كما أشاء، وكذلك أنتِ.

انفضي عنك غمامك. اتحدي بسويداء قلبك لترى الحق.

عودي باستت عودي ولا تخشي شيئا، لتكتملي وتنتقلي يجب عليك إتمام العهد.

هناك بمكنك الأول وصلاتك الأولى وإشراقتك بالعلم لقومك.

أنتِ هناك حقيقة، هنا مجرد ظل.

انظري لا وجود لك بالمرآة فقط لك ظل، وأنا لا ظل لي، ولي انعكاس لأني هنا في موضعي الآن.

تحرك المصعد ووقف بالدور العاشر لتخرج منه القطة وحدها.

***

١٠٦٠ ق.م

بعد غروب الشمس بقليل والسماء بحمرة الغضب تشتعل إبان ظهور نجم عارض رصده الكهنة على أثر ذلك اجتمعوا عبر الزمكان حيث العلامة المنتظرة منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام، أضيئت مشاعل المعبد الخارجية لقرب احتمال الجمع بعيد باستت عيد السكر، صوت الشخشخة تدوى بجلجلة معادة مترددة بالصحراء. هن النسوة يقدمن قرابينهن لباستت بالغناء والرقص والمنح وصوت الشخشخة المصلصل لتهب لهن الولدان في الحياة والسكر والحب.

بدأ الغلمان بجمع الحطب المقدس، وتقدم كاهن رع الكبر إبي يحف الأرض بالفحم الأسود والحناء ليشكل حدود الشعلة التي يعد لها الغلمان.

وقف ينظر للسماء والنجم الثاقب يضوى بدفعات جنونية، ثنى أصبعيه الإبهام والسبابة يقربهم من شفتيه ويرتل نغما واحدا ثابتا "أووومااااار،

واليد الأخرى ترشم الهواء بتتابع من الشمال إلى الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ثم الجنوب الشرقى وأخيرا للشمال الشرقى ويثبت سبابة اليد اليسرى كأنه يضغط زرا بذلك الموضع، وحال اليمنى كما هو يردد نغم أووووماااااار.

بقى على ترديد النغمة وهو عائد بخط مستقيم إلى المعبد يتبعه سلسسال من الشفق ممتد من السماء يلون خطة المتبع حتى توارى الاثنان بالمعبد.

***

٢٩٩٩ م

سحرتنى تلك الملعونة لأسبح بذلك اللجين أوهمتنى أننى بلا انعكاس أنا ميا.. أنا ابنة رع تخدعننى صورتى؟! هل سأظل حبيسة للأبد هنا؟!

خف اندفاعها لتتضح لها الرؤية معمل علوم أو مختبر حديث هي ممده بطاولة شفافة كأنها معلقة بالهواء وأصوات تتدافع لعقلها.

هتفت الفتاة المحملقة فيها: بروفيسور كين.تشالينج.

أفاقت كين: إعادتك العلامات والأرقام حتما، لقد كنت اتركها لكِ بكل كوكب.

تشالينج: ماذا ؟

كين: لقد وجدنا الحُلية اللاعنصر وحللنا شفرة الماتريكس أعدنا صف المجرة وما حولها يمكننا المغادرة الآن...صوت أزيز متقطع يتبعه انفجار مكتوم ثم تتجسد مرآة المصعد من جديد ليندفع منها لجين متلألئ فضي يقتنصها قبل أن تشفى غليل عقلها إجابة. تسقط من جديد باندفاع حينا وبتباطئ أحيانا، ونتوه أكثر بسرمدية الفكر بعقلها المندفع لكل شيء، وكل الاتجاهات بنفس الوقت .

***

١٠٦٠ ق.م

همهم ور مآو الرائى العظيم، سيتحد كل ما هنا بالدم.استند واجهه هرم بلورى مصغر من الشكل الداخلى للمعبد حيث بلورية الجدران المائلة بزاويا متساوية الأركان تتجمع بقمة الهرم. قاعدة تشف سواد لا نهائي لكل اللاشئ. للفراغ. والجوانب المثلثة تعكس حركات متقطعة بزمكان ينفرج ويغلق.يضوى ويتسارع ويخبو. ثم تلهبه بوهج لا لون محدد له الطاقة من جديد.

تطلع له نوب كاورع عنخ كبير كهنة امنمحات: هي من فعلتها، هي من تعبث بالعنصر اللامتناهى شهوة المعرفة لديها ذهبت بعقلها وجموح روحها التي حذرتكم جميعا منه ها قد حلت اللعنات علينا.

قاطعة باواح أذكى كهنة توت عنخ آمون: لم تحفظوا السر كما علمناكم. لم تراقبوا وعيهم المتنامى. هن جنون يستعر. آتون من التضاد

ينفلج عنه همائم يمكننا أن تهزمنا بكل زمان الف مرة أتفهمون؟

تدخل وننفر: حدث ما حدث وعبرت حدود الماتريكس وكسرت المصفوفة الزمكانية الأولي والثانية، ولكننا بدأنا طقوس الاستعادة. سيقف وعيها بعد قليل حينما تكتشف أنها ماغادرت نفسها قط، هي فقط تهيم بداخل عقلها المتجمع. كانت تبحث عن الخلود والحرية ولا تدرى أنها هي قطعة الحجر الذى يبقى المصفوفة بتوازنها كما نريد نحن..

عاد ور مآو للحديث بصوت جهورى يعلن ابتداء طقس طقوس العودة.

من قاعدة الهرم ندعوك سيدة الأرضين. سيدة الإياب. سيدة السماء. عين رع المسالمة. حتحور عين آتوم. أيا أم أنوبيس. الغوادى محملات بالغيث.البواقر باكيات من بعدك.

هلمى لتتمي عهدك. كهنة آمون يدعونك باسم رع الأوحد،

كونى هنا عبر زمكان لا تدركيه وعقل ضرير بلمحات تسرق ولا تشفى.

يجلس ور مآو ويقف باواح بزاوية الهرم الغربية ويبدأ في تلاوة تعويذته:

***

١٩٢٢ م

الشمس حارقة والرمال ساخنة أرى فكرة الالم بعقل ذلك البائس الذى احتله الآن. تظهر لى الحقيقة كاملة، أكاد أعلم من أكون وكيف أنتقل. أنا لست جسد ميار البائس ولا عقل تشالنج الجبار ولا عبثية ماو ولا عضب وشقوة وهدر نيران سخمت ولا وداعة وحلم باستت وأنا أكثر من هذا بكثير.

حتى ذلك البائس الذى توهم أنه من اكتشف الحقيقة، كنت أنا وراءه، علمت كل ما حدث من تلافيف مخة المجهدة حيرة.

هتف صوت الغلام النوبى سيد كارتر: وجدنا شيء.

انتفض هاورد كارتر المكتشف العظيم يسلك طريقا غير ما وجهه إليه الغلام، ولكنه لم يعرف أنى من وجهته إليه، لا يهم، يكفى أننى أتذكر الآن وأنا أمر في عقله بزمن اكتشاف مقبرة الملك العظيم توت عنخ آمون أو لنقل لجزء منها فما زال هناك المزيد، لا يهم الآن شيء، أريد فقط أن أبحث بعقله هل وجدت الجوهرة التي أريدها ؟

هاورد: لا تلمسوا شيئا بأيديكم المجردة. ولا تفتحوا الجرار والصناديق. انتظروا فقط، ابحثوا معى عن بلورة مرمرية الشكل وحدها بلا رابط أو سلسال. بحثوا بعناية.

أحد الغلمان: وادى الملوك يعج بها سيدى.

هاورد: لا إنها تشبة الصاعقة البرقية بلورية الهيئة حادة الحواف، يمتص بها الضوء ولا ينقسم.

الغلمان يتعاقبوا بالرد: يا سيدى كيف ذلك؟

لا ندرى عما نبحث

لم نرَ يوما ما تصف.

أشعل أنا الغضب بعقلة يثور عليهم جميعا ويخبرهم انه سيبحث عنها.ابحث هاورد انها هي الاكتشاف الأعظم.

مفتاح سر الخلود.العبور. الحجر اللامصنف. إنهاااااا لاااااااا لا أريد الذهاااااب الآن كفوا عنى.

***

١٠٦٠ ق.م

ماودان رع. قف وعد واستقم.

هنا يكمن سرك. موعدك بدائرتك حيث المنتصف.

باستت.

ابنه رع. ضوء الشمس. غمام السماء

سها الكون المضئ بالعتم.

أدعوك باسم الأوحد آمون رع.

عودى كالبغاث مع الطير العتاق.
والسُكيت المخلف مع خيل السباق
عودى بلا عراك.
مضومة الجناح والعقل، معتدلة الفؤاد
يباب يباب.غدو غدو. عهد يكتمل بالدماء.

يجلس باواح ويتجلى ماعت رع بمنتصف قاعدة الهرم كأنه نبت من الفراغ، يرفع يديه عاليا تجاه الشرق والغرب فيندفع سيل من النور يعبره لأعلى قمة العرم ويخرق حاجر المعبد المتستر ويضئ السماء لأعلى لأعلى لأعلى.

هي التضحية الأخيرة بطقوس الاستدعاء.

تندفع على جدران الهرم البلورية تلك المسافرة عبر الزمان بجدار مثلث ترتطم بصورة ميار تتجسد متخللة خواص الجدار التي تتبلور كل لمحة. دفقة أخرى وجدار آخر تتجسد القطة ماو التي حنطتها هي. تبرق بعينيها والكاهن الأعظم مازال طقس الاستدعاء مستمرا. لا يخرج منه صوت واضح، ولكن كل خلية به تصرخ بشئ ما. تساقط بعض قطرات من الدماء تعلق بالفراغ، تتسرب من جهة الغرب حية تسعى تتلوى ثم تموء كقطة ويكسوها الفراء تتمسح بالجدران وترتفع لأعلى ثم تسقط لأسفل والقابعات بالزوايا المتقابلة تدور أعينهم بحثا عن حقيقة تتجلى لعقل يصفى حرفيا.

توالت الطرقات والارتطام، والحية تلم ما صبغت بالزاوية لتتشكل أنثى راقية جميلة خلابة الرجاء تشبة عيونها..

صرخة مدوية يجفل لها الكاهن ثم تتجلى بكامل هيبتها سخمت بفتنتها وأثيرها كلها، تتجاذب النظرات معهن فيذبن بها وتسير دماؤهن لوجين قانى عبق تجذبه شراييها كزئبق يهوى معانقة كل نفيس.

جلست القرفصاء بعتاد عنيد تنظر للكاهن، تتحد النظرات بينهم يتحدثان.

- لن أبرح حتي أبلغ.

- وماذا تظنين هناك؟

- خلود تقتسمه أنت وشرذمة.

- لا تحلى لعنة الوصف على روحك.

- أريد المعرفة هي حق لى كالخلود.

- هي لك بشرط عدم الانتقال، الكمال لكِ ولكن كما نحن نريد.

أنا علمت كل شيء أنا القلادة.الحجر.البلور.أنا العنصر اللافراغ اللاتوصيف، أنا الدُعة والعصيان،أنا الطهر والمجون.انا الحق والظلم. العدل والصلف، أنتم دونى بلا شئ، لن تتحكموا فيهم أبدا.أنا من يكمل لك شق عباب الزمكان.

فهب لى ما استحق.. كما قعلتها سابقا سأعاود الكرة.

يبتسم الكاهن بجذل ويخبرها هذا كان يمكن أن يحدث بالفعل سوى أنك جاهلة بأمر تلك البؤرة التي تقفين بها، وتسكبين صوتك للجمع، هي الفراغ حيث كل ما يخرج منك لا يعود أبدا.

أنتِ الآن بلا هوية سوى ما سأعطيك إياها.بلا ذاكرة، بلا...

***

٦٥٥ ق.م

- لا أرجوكِ توقفي عن ذلك المواء يكفى، أرجوكِ يكفى. أعصابى تتقطع.إنى أتألم.!!!!!!اه .

تستسيقط زوجة آتوم على ألم يكاد يصرعها لتتذكر وجه الفتاة التي تتألم بالحلم والتي كانت أسيرة لظل هره عملاق تموء والفتاة الغريبة معصومة العينين ومكبلة اليدين وتصرخ.

أواااه موجعة صرختها، إنها مازالت تدوى بعقلى. من تلك الغريبة وما تلك الملابس العجيبة التى ترتديها؟! يجب أن أبحث عنها بكل البرديات والكتب القديمة وربما سأسال الكهنة.

يصرخ صوت بعقلها: لاااا الكهنة لاااا.

***

شيطان بقرون

نسمة السبكي

لنبتسم معا على هذا العنوان المضيف..لكن يجب عليك أن تعلم أن لكل منا أسبابه لتلك الابتسامة الماكرة، وسوف تعلم أسبابى من بين السطور التالية.لا داعى للتعجل وإلا أفسدت علىَّ متعة السرد.

هل قابلت جوشابينس من قبل ؟.. لا أعتقد ذلك فهو وليد اللحظة يلفظ أنفاسه الأولى فى محيط خيالى.

جوشابينس شيطان ولد وله من العمر ما تجاوز المائة بأحد عشر عاما وها هو يخطو أولى خطواته فيما اعتبره وظيفة.

هو طموح يتمتع بالمثابرة والإصرار، وهناك مايميزه بأن أهدافه تعلو أهداف من حوله من القوم، لا يهدف إلى إغواء الضعفاء ذوى الاستعداد الدائم للأخطاء. لا يفضل من ضحل تفكيرهم من البشر، إنما هو مولع بمن حمل بقلبه صدقا..يسعى دائما وراء أصحاب الفن

والفكر والعلم. منذ أدرك أن هناك حياة وعقد على نفسه ألا يرافق سواهم. هؤلاء فقط من هم جديرون بجوشابينس.

هناك دائما ما يسمى - بالمرة الاولى- راح يرددها لنفسه مشجعا. وكانت بدايته من النهاية. من مكان حيث لا يقترب الشياطين الا قليلا. كانت البداية من مستشفى وسترين هيل بلندن وهى اقرب إلى مركز علمى منها إلى مستشفى فقط، وهذا الاختيار يعرفك اكثر بشخصيته المتحدية فقرنائه كانوا ليفضلوا الملهى الليلى ولكنه ليس هم. أخذ يتجول بين أروقة المستشفى محدثا أكبر ضرر ممكن فى قدر من الهدوء لا يلفت الانتباه. إن لعبة تبديل الدواء لجديرة بالأطفال، لكن ما عساه أن يفعل إلى أن يجد ضالته؟! يتسلى فى بث أفكار اليأس فى نفس مريض قارب على الشفاء، ويتحدث لمراهق فقد بصره لتوه جراء حادث سيارة، صارخًا: لقد صرت عاجزا الآن كيف تعيش دون بصر، دون مرح، دون مباهج الحياة الأخرى؟!

الأحرى بك أن تفارقها وليكن بيدك، هذا ما تريده، أنا صوتك فاسمعنى جيدا.

وفى تلك اللحظة يسمعان معا صراخا محذرًا: احترسى يانيرفانا.

فتخلى هو عن الفتى وقد كان من حسن حظ الفتى طبعا، ليرى عنكبوت تلتقطه شابة فى أواخر العشرينات، بدت حانية حالمة رقيقة لكنها التقطت العنكبوت فى ثبات وبساطة تامة كأنه عمل روتينى

واجب عليها القيام به، ورددت إنه ليس خطرا ولا يوجد مايقلق.. أدرك جوشابينس أنها من يبحث عنه..هى له.

نيرفانا قمة السمو الروحى

***

هى نيرفانا.. تشغل وظيفة محاسبة بالمستشفى وطبيعة عملها تحتم عليها التعامل مع الجميع. المرضى والأطباء على حد سواء. لم يحتج جوشابينس إلى مراقبتها كثيرا ليعرفها أكثر، فقد علم منذ رآها للمرة الأولى، إنها مثال لاحترام الآخرين. تهتم بشئون المرضى وتحرص على مشاعرهم، وتساعد الجميع بكل ما أوتيت من قوة قادرة على نسف جبال من الأعمال، ولم يخفَ عليه أنها واسعة الاطلاع، لكن ما أسره حقا تلك النظرة المتفهمة التى تتمتع بها.

فقال:

- نيرفانا لى.نيرفانا رفيقتى، ولتجرِ الأمور وفقا لقواعدى.

بدأ يعمل جاهدا على عكس كل تلك الصفات الجميلة التى رآها بنيرفانا، يرافقها فى كل مكان ترتاده بعد انتهاء فترات العمل، وذلك بخلاف مراقبته لها أثناء فترة العمل..بالطبع فمقر عملها هو نفسه مقر إقامته، معرفته بها أخذت تزداد يوما بعد يوم، فى البداية لم يتعجب من اهتماماتها الطبية فهى تعمل بمستشفى على كل حال. كان بحوزتها دائما تلك الحقن. لكن لماذا تحتفظ نيرفانا بتلك العناكب

فى مسكنها؟ ولما تحرص دائما على إحضار واحد أو اثنين معها إلى المستشفى ؟وما نفع احتفاظ إنسان بهذه الكمية من البول؟!

إن نيرفانا لها اهتماماتها العلمية وهى من الأشياء التى جذبته لها.. إنها غالبا بعد انتهاء فترة عملها تتجه إلى حجرة الدكتور وارين توماس الذى يسمح لها باستخدامها لأن نيرفانا صديقة الجميع، لكن جوشابينس وحده يعلم ماتقوم به نيرفانا هناك.. لقد حقنت لتوها هذا العنكبوت بولا من العينة التى أحضرتها من العيادة النفسية امس. ما فائدة ذلك ؟!!

شعر جوشابينس بألم شديد برأسه فتحسسها ووجد شيئا غريبا.. نتوءا صغيرا موضعه يؤلم بشدة.

ربما يرافق نيرفانا شيطان آخر كلما كان يحمسها على إهانة الآخرين وإهمالهم لم تكن تصغى فتركيزها منصب على هذا الشئ اللعين حقن العناكب بالبول!!

بداية محبطة حقا مع وجود ذلك الألم بالرأس. قد كانت الأمور أفضل بدونه، لم تكن الحيرة والتساؤلات فقط هما كل ما قدمت له نيرفانا إلى الآن.. فعن طريق قربه منها تعمقت معرفته بصديقها الدكتور وارين توماس..

***

وارين طبيب نشيط مجتهد عاشق للعلم والاكتشافات، محظوظ بصداقاته العديدة. شغوف باصدقائه.

وهذه مميزات يسعى جوشابينس لهدمها، فأخذ يرافقه لكنه لم ينس نيرفانا. فما المانع من أن يزيد عدد رفاقه فهو جدير بهم؟!

لكن أساليب الشياطنة التقليدية لا تساعده كثيرا ولا ترضى طموحه أيضا، فقرر أن يتجسد ليصير رفيقا ملموسا لأصدقائه. وقد كان تجسده فى هيئة طبيب شاب يدعى طومسون، طبيب جديد عديم الخبرة وبدأ يشارك وارين فى تجاربه..دعك من كيفية دخوله إلى هذا العالم فى صورته الجسدية وكيفية خداع الآخرين بوجوده رسميا فى أوساطهم فهذا سهل على جوشابينس ولعلك قد استنتجت هذا أيضا.

وارين طبيب باطنى ولكنه اشتهر بتجاربه على الدواء الكيمائى فى علاج الأورام الخبيثة

وكان جوشابينس يحترم دقة ملاحظته وسرعة بديهته وحاول خداعه مرارا، وقد افلح اخيرا فى الوصول لمركب خطير جدا. «الاكستازى»». فكان يعمل دائما على أحد مشتقات الامفيتامينات وقد توصل إلى واحد. ولما كان يتمتع وارين بكثير من المعرفة تعجب جوشابينس «طومسون» من عدم معرفته لذلك العقار حيث أنه وُصف لحالات مرضية من قبل فى عام ١٩٨٥، ولكنه يعتبر من العقاقير المهلوسة والمنشطة فى ذات الوقت واسمه العلمى

«Methylene Dioxy Meth Amphetamine» MDMA

وله تسمية شهيرة (بوش) وهو اسم عائلة جدير بالهلوسة حقا. لكن كيف لم يسمع به وارين من قبل؟!

لكن لا تنس أرجوك أن طومسون شيطان وقد بدأ ينجح فى عمله قليلا. بدأ الحماس يعلو للعقار الذى يعتبر من أخطر أنواع المخدرات إذ يجعل متعاطيه فى حالة هياج دائم، ويتناول كميات كبيرة من الماء مابين ٢٠- ٢٥ لترا نتيجة الجفاف الشديد الذى يعانيه، وهو ما قد يؤدى لفشل كلوى ثم الوفاة وإن لم يجد الماء يصاب بالشلل المؤقت أو الدائم، بالإضافة لهبوط حاد فى عضلة القلب والسكتات الدماغية. لقد بدأ الصخب لتوه يا جوشابينس، هذه ميزة مرافقة العلماء فهم يساعدونك كثيرا فى تدمير أكبر عدد ممكن من البشر، فقط يحتاجون إلى شيطان مثلى

ازداد حماس وارين الشديد للعقار كأنه وجد ضالته أخيرا وجاءت مرحلة التجربة الآن. لم يغفل جوشابينس الأنين فى عين الطبيب المتحمس وحرصه الدائم على عدم إظهار الألم والانخراط فى تجاربه وأعماله، وقد كان إصرار وارين صارما فى تجربة العقار على الأفيال لاعتقاده أنها من أكثر الحيوانات تحملا.

لِمَ هذا الحرص على تجربة العقار على الحيوانات أولا؟ فقد ظن جوشابينس أنه نجح فى تدمير ضمير الطبيب لما كان متحمسا هذا الحماس الجنونى للعقار المدمر عقارالهلوسة، لكن وارين بدأ فعلا

فى تجربة العقار على الفيلة فى مكان خاص بالمستشفى وهو يضم حيوانات للتجارب ومنهم الفيلة الصغيرة، ومن بداية التجربة أعطى وارين الفيل المسكين جرعات متزايدة من العقار.

طومسون كان يلاحظ الألم الشديد الذى يجتاح وارين. هناك ما يمزقه حقا فى هذه التجربة.هل هو إشفاقه على الفيل الصغير.

لكنه سرعان ما انشغل بآلامه الخاصة، ذلك الألم الشديد برأسه الذى اختبره من قبل، تحسسها فوجد مثل ما وجد من قبل. ذلك النتوء الصغير ولكنه على الجانب الآخر من الرأس، خيل له أن رأسه أصبحت أرضا خصبة لتلك النتوءات، كأن هناك من ألقى بذورا تنبتها. وإذ به هائم فى تخيلاته جذبه طنين ندائه الآلى ليخبره أنه طومسون الطبيب وهناك ما يستدعى وجوده فى غرفة الطوارئ.. لم يكن يفضل أن يترك وارين فى هذه اللحظة بالتحديد، لكن هناك دائما متاعب التجسد البشرى، ولكنه يستمتع بها حقا، يستمتع بالحرق المبرر.

فعندما تكون إنسانا من حقك التام أن تكون أحمق ولا يلومك الآخرون كثيرا لأن الحمق مبرر دائما فى عالم البشرية.

اتجة جوشابينس إلى غرفة الطوارئ وفوجئ بعدد أفراد الجيش الموجودين.

مزاح أم جنون؟!

غريب حقا ما أراه، إن البشر جميعهم يتمتعون بنسب متفاوتة من الخرق، لكن كيف تتجمع حالات الصدمة فى أفراد الجيش؟! أليس من المفترض أن يكون هؤلاء الفتية الأقوى نفسيا؟!

أخذ طومسون يتساءل واحساسه بهذين التجويفين برأسه يتسعان، ووقف امام فتى فى أوائل العشرينات، لاحظ أنه يردد جملة واحدة باستمرار:

- لو أجد ما اعترف به!

اقترب منه أكثر قائلا:

- من هو الراغب فى اعترافك؟

لم يجبه واستمر فى ترديد الجملة. إن روح الفتى الهشة تفحمت بالكامل يكفيك أن تمر بجانبه وتغلق عينيك فيبعثرها تفريغ الهواء الناتج من تحرك جفنيك.

- جون استمر فى جمع البطاقات.

صوت قائد الفرقة يتعالى: جون.

طومسون يراقب فى بلاهة وازداد ذهوله؛ إذ رأى الفتى المنهار ينهض كالآلة تاركا روحه كومة من الرماد لتنفيذ الأوامر.

- سوف أساعدك فى جمع البطاقات، أدعى طومسون، طبيب مقيم، مرحبا جون. قائدك يتمتع بصوت جهورى. فقط لتخبرنى ما الذى أدى لوصول الجنود لهذه الحالة؟

إن الفتى يرمقه بنظرات زائغة، وبعد أن نجحا معا فى جمع ثلاث بطاقات، جاوبه متثاقلا:

- لقد جئنا لتونا من قاعدة التدريب الجوى أتوا بنا لأنهم يتشككون فى صحة قوانا العقلية، ذلك واضح من الحالات التى امامك.

- نعم الكثير من الإغماء والغثيان وشحوب الجلد والإعياء. الكثير من أعراض انخفاض الدم المفاجىء، حتما حدث ذلك لأعضاء الفرقة بعد صدمة حادث الطائرة.

- نعم، نعم، لكنى لم أجد ما أكتبه فى تلك البطاقة.

بدأ الفتى يفقد اتزانه وازداد شحوبا. إن طومسون يحس ببروده جسده تلسعه هو نفسه عن بعد.

- لم يرتعش القلم فى يدى مثل الآخرين، إنه يهذى، لم أحاول أن أكتب شيئا. أتعلم لما لم أخط سطرا؟. كانت لى حياة ما قبل الجيش استمتعت وعانيت، أحببت وحزنت، لكنها لا تستحق التسجيل، لم أجد شيئا أتركه خلفى. رأيت قلبى فى اللحد مستعدا للنهاية، يتمنى أن ينتهى كل شئ سريعا. أتعلم ما أرعبنى حقا. العودة. إدرا كى لحتمية الاستمرار فى مكان لا أنتمى إليه.

جوشابينس يحاول جاهدا أن يلعب دور الإنسان فما وجد ردا إلا:

- هون عليك، لقد كانت مهمة وجب عليكم خوضها، ولكل شئ صعابه لكنكم نجوتم جميعا، ولا يوجد خسائر كبيرة، ويحدث جوشابينش نفسه مكملا:

- إنه لشئ يحزننى كثيرا.

- لكنها لم تكن مهمة بل كانت تجربة.

قالها جون مع تلك النظرة النارية فقط لو كنت واسع الخيال - وتحب أفلام الكارتون - لرأيت مقلتيه يندفعان نحو جوشابينس من خلال ذلك السلك الولبى وأثناء اندفاعهما تخرج سهام يخرج منها بدورها سائل لزج يلتصق بوجهه ثم يشتعل بمساعدة بسيطة من تنفس جون.افففففففففففف

لم يجد جوشابنس الوقت للتعجب حيث إن النتوءين برأسه أخذا فى التعالى فى أقل من نصف ثانية، لقد كان رد جون واضحا على أفكاره التى بالطبع من المفترض أن تكون غير مسموعة.

***

إعدام جديد من نوعه.

- دكتور طومسون بلامير مطلوب بغرفة الاعدام فوراااااا

نداء يتردد حقيقة لا مجازا يسمعه طومسون جيدا.غرفة الإعدام!! لكنه هو وحده من يسمعها كذلك - هذه النقطة الخارقة الوحيدة الذى أظهرها فهنيئا له، فالكل يسمعها مثله تماما لكن نهاية النداء بمكتب المدير.

مشاكل التجسد البشرى من جديد «ثمة عمل لى هنا يا (جدعان) لكنه طبيب وليس هناك مفر من الاستدعاءات وضرورة تلبيتها - ناهيك عن أن تكون بطل القصة - أضطر آسفا فى الاستمرار فى المسلسل البشرى فلننته منه سريعا ولنتفرغ لأصدقائنا.

إنه الآن بمكتب المدير دكتور بورهيف الرجل الأرستقراطى ودعنا نختصر ولنقل إنه ريتشارد جير فى أزهى حالاته.

- دكتور طومسون سوف تكون شاهدا على أول تجربة كاملة لطريقة الإعدام الجديدة، يقول جوشابينش لنفسه متعجبا:

- إنه رجل عملى للغاية هكذا دون إية مقدمات.

- صرح لمستشفانا بتجريبها جزئيا من قبل لكنها المرة الأولى للتنفيذ الفعلى حتى النهاية وتنفيذ الحكم.

« إعدام بالمستشفى !!»

هذا يأخذنا إلى فيلم الكارتون السابق لنرى فقاعات التساؤلات فوق رأس جوشابينس وتصوره فى هيئة (توم) والنتوء يتعالى من رأسه بعد سقوط المكواة عليها.

- دكتور طومسون لا داعى للقلق؛ فكل شئ قانونى هنا يدعمه اتفاقنا مع إدارة مصلحة السجون البريطانية، وموافقة المحكوم عليه بالإعدام نفسه أيضا. لاتقع عليك اي مسئولية، حيث دورك لن يتعدى أن تكون شاهدا على العملية، إنى لا أقلل من قدرك هاهنا لكن أعداد المهام المخولة إليك ليست بالكثير.

«صفاء روح، صدق فى حب العمل، احترام المرؤسين» صفات يتمتع بها بورهيف، وهى ليست من الصفات الغالبة على المدراء عامة.

- عذرا سيدى لكن من المشرف على هذه العملية ليتضح لى دورى أكثر وما فائده مشاهداتى.

- سوف أوضح لك كل شئ، فى طريقنا إلى هناك يجب أن لا نضيع الوقت أكثر من ذلك فهذه العملية تخضع لإشرافى بصفتى مدير المستشفى.

- حقا أنت المدير نفسه؟!

- نعم، وصاحب الفكرة أيضا، وهى الإعدام عن طريق استنزاف الدم. انت بخير دكتور طومسون ؟!

- بخير ياسيدى فقط أعانى صداعا مزمنا اعتدته منذ زمن.

- أرجو أن لا يؤثر ذلك على تركيزك، وليكن منصبا على العملية فمشاهداتك تهمنى كثيرا، فأنت عين خارج الإطار، وأرجو أن ترى الأخطاء التى لا نراها نحن، قد وصلنا.

لفت نظر جوشابينس لافتة كتب عليها (العيادة النفسية)، فقط رآها من قبل، أخذ ينظر خلف الإطار الزجاجى لها حيث وجدت نيرفانا صديقته الأولى فى هذا المكان، عزيزته نيرفانا رآها تجلس على الأرض فى مقابلة شاب ذى ملامح تختلف عمن اعتاده جوشابينش هنا عله يكون عربيا، فملامحه أقرب للعرب، يبدو أنه كان يتمتع ببعض الوسامة من قبل، فهو مرهق لدرجة أنه لا يستطيع النظر إليها. نيرفانا تبدو حزينة للغاية.

حثه دكتور بورهيف على الحركة حينما قال:

- أظن انك تعرف العيادة النفسية، وهى ليست وجهتنا بالطبع ها هى تبعد عنها ما يزيد عن ١٠ أمتار واتجها إلى الغرف التى تشبه المعمل من الداخل، وهناك بعض الرجال يبدو أنهم من الشرطة وممرضتان تجهزان السجين لمصيره..

قامت إحداهما بغرس حقنة أسفل كتفة الأيسر بالقرب من موضع القلب وقامت بتوصيلها بأربع أنابيب مطاطية، أحكمت تثبيت أنبوبتين على مرفقيه لينتهى طرف كل منهما بدلوين، كلا

على جانبى السجين، وهناك الكثير من الأقطاب المثبتة على جسمه وموصلة باجهزة لقياس ضغط الدم ومؤشراته الحيوية.

وفى النهاية قامت إحدى الممرضتين بعصب عينى السجين وحرصت على ألا تضايق أذنيه.

- إذًا كل شئ تم إعداده بدقة فلنبدأ «كانت هذه الكلمات تصريحا للبدء من دكتور بورهيف».

وقف طومسون يراقب العملية فى ذهول وبذهنه الكثير من التساؤلات التى لم يكف عنها من بداية القصة «إذا هذه فائدة الأنبوبين الآخرين؟»

صوت ارتطام القطرات بقاع الدلوين مع صوت طنين الأجهزة يضايقه بشدة، لكن كل شئء انتهى سريعا وأغلق السيرك أبوابه بذلك الشريط المستقيم المار بشاشة المراقب. لقد نجحت العملية وتم إعدام السجين.

لكن لماذا ؟؟ كانت موجهة لبورهيف تحديدا.

التجربة:

صوت صراخ نيرفانا يتعالى عابد.عابد. ساعدونى.

اتجه طومسون ودكتور بورهيف للعيادة النفسية حيث مصدر الصراخ ليجدوا عابدا، وهو شاب فى أوائل الثلاثينات مريض

بالانفصام يعالج بالمستشفى منذ ٣ سنوات، الكثير ممن عرفوا عابدا أشفقوا عليه من الصراعات النفسية التى كان يعانيها، فهو شاب من أصل عربى ولد بإنجلترا وأخذ يتنقل طيلة حياته بينها وبين وطن الأم تونس، ولسوف ندع لخيالك كم من مرض ممكن أن يتسبب فيه ذلك الاضطراب وعدم الاستقرار بين الشرق والغرب، لكنه فى النهاية ها هنا على الأرض شاخص العينين بين ذراعى نيرفانا يبلل وجهه دموعها.

إن الجميع مدركون أن ذلك الفتى قد فارق الحياة فيما عدا نيرفانا التى أخذت تحدثه بلا انقطاع فى هيستيريا.

- التجربة سوف تنجح ياعابد، فقط أمهلنى الوقت لقد قمت بحقن الكثير من العناكب ببول من هم يعانون نفس مرضك، إنى أعمل على إيجاد العلاج ياعابد لم ينقصنى غير تحليل الخيوط الناتجة عن العناكب التى تم حقنها. هذا العلاج هو أملنا فى الشفاء، فقط تحتاج التجربة إلى الصبر والكثير من المحاولة، وهذا عهدنا مع الحياة، فقط ساعدنى ونجح معا، ساعدنى بألا تيأس من الشفاء، أرجوك ثق فىَّ، ثق فى نجاح التجربة».

«التجربة !!».

ظهر صديقها وارين بعد أن هتف بذلك محدثا شقا بين الجميع، إلى أن وقف بمقابلتها يحدثها:

- أنت تعلمين بِشأن التجربة يانيرفانا؟

ولم يطق النظر اليها أكثر فجذب طومسون مبتعدا عن الجميع.

- سامحنى ياطومسون لم أكن أتحمس لذلك من قبل صدقنى.

- ماذا؟!!

- لتجربة ذلك العقار اللعين على الفيل البائس فقط كنت أريد أن أعرف آثار الجرعات الزائدة، فقد كنت أتعاطاه أنا ويتعاطاه صديقاى، لقد قمت باستغلالك لمعرفة المزيد وها هى النتيجة لقد قضى عابد نحبه.

- وما دخل عابد بـ....؟

لاحقه وارين بالرد:

- عابد أحد صديقىّ. أنا وعابد ونيرفانا كنا نتعاطى ذلك العقار وفى كل مرة نطمح فى المزيد من الصفاء المزيد من النشوة، كنا نحتاج إلى جرعات زائدة، وإذا بطومسون يفاجأ بإحدى الممرضات تهرع إليه:

- دكتور طومسون لقد ترك اليك احدى المحتضرين تلك الورقة قبل وفاتة بدقائق.

(إنه يوم سعدى) إذًا جون كتب على مقدمة الورقة.

- إنه جون. احتضر !!

فقط تركته منذ ثلاث صفحات أعنى ٧٥ سطرا فقط.

تجربة !!..لقد كانت تجربة!

أى عقل مريض يفكر فى تجربة كهذه ! اختلاق حادث الطائرة، أوهام السقوط، الجنود مذعورون، الرؤساء تعجبهم المزحة، فقط دع الجنود يملؤون البطاقات وهم على شفا الموت لمعرفة مدى قدرتهم على الثبات، قليلون هم من يكتبون وهم على شفا الموت، لكنى محتضر أكتب إليك لأنى رأيتك. هلا رأيتنى أنت أحتضر. يا شيطان؟

ما كانت هذه إلا تجربة تتعلق «بالإيحاء»، قالها طومسون وهو يكور الورقة ويطوحها قالها فى شئ من الغيظ:

- نعم ياطومسون، إنها تتعلق بالإيحاء، انه بورهيف يعلق على ما قاله طومسون واستكمل.انت رايت كيف احتضر السجين فقط لعلمه أن دمه يستنزف فما كانت الحقن فى القلب الا وخزه لتشعره أن شيئا ما حقن فى جسده ومن خلال صب الماء الدافئ، ومروره فى الأنابيب على مرفقيه أشعراه أن دمه يسيل، وتأكيدا على ذلك صوت ارتطام قطرات الماء بقاع الدلوين، لقد أعدم نفسه بنفسه اعدم بالايحاء وليس باستنزاف دمه.

لم يبال طومسون بهذا الكلام؛ فقد راه من قبل، رأى التجهيزات المحكمة ولا يحتاج للشرح

كيف. فقط يحتاج لتفسير.

أخذ يبتعد عن كل هذا الضجيج محاولا أن يسيطر على الضوضاء بداخله أخذ يبتعد يبتعد إلى أن اختفى تماما. اختفى طومسون لكن بقى لجوشابينس الصداع الذى لم يفارقه منذ تلك اللحظة. أيضا لم يفارقه ما اكتسبه من جديد هذان القرنان الشيطانيان، لقد اكتملا فى النمو تماما الآن، فقط أصبح شيطانا بقرون.

ملحوظة: أساس التجارب الأربعة حقيقى، وتم بالفعل فى الواقع.

***

سيظَلُّ ظِلًّا

هدير السيد

ما بين مصدوم ومأخوذ بالمشهد الدامي، ما بين أعين باكية وأصوات صراخ تطن في أذنيها. كانت هي فقط تحدق في الوجوه من حولها بلا تعبير، مجرد روح هائمة تنظر المشهد بأعين محايدة من البعيد. أنامل تقطر منها الدماء بينما اختفى نصف النصل الحاد في صدر تلك الجثة الهامدة على أرض الغرفة بعينين متسعتين غادرهما نور الحياة. الأصوات تتداخل من حولها، وصداع عنيف يفتك برأسها. طيف أسود شديد الطول ألقى بظلاله على الغرفة من حولها فجأة ليحيل عالمها كله سوادًا وقد تلقفها ظلام إغماءتها مرحبًا.

***

الوقت الحالي :

عينان جاحظتان ظللتهما الهالات السوداء، بشرة باهتة غادرتها الدماء، وجنتان غائرتان وشفتان زرقاوان مزمومتان، ذلك كان

أكثر من كاف لجذب الأنظار نحوها بإشفاق تمقته، فالجميع مشفق على الأرملة الشابة التي فقدت زوجها منذ عام واحد في حادث غادر، حادث تركها خالية الوفاض بلا طفل يشاركها رثاء فقيدها، حسنًا لن تتعب نفسها بتصحيح خطئهن، فلا أحد سيصدقها على أية حال، لا أحد سيصدق أن فقيدها المزعوم يقف الآن تحديدًا، وفي تلك اللحظة، على الطرف الآخر من الغرفة، يطالعها بسخريته المعهودة وابتسامة شرسة تعلو ثغره، يتوعدها بعينيه قبل لسانه اللاذع وكعادتها قابلت توعده الصامت ذاك بالصبر، تحبه !!.. نعم وبكل جوارحها، ذلك الحب الذي قد يصل لدرجة الكراهية أحيانًا، لقد اعترفت لنفسها منذ سنوات بأنها لطالما كانت مثيرة للشفقة في حبها اليائس له، مريضة هي به، ترتشف من كأس عذابها بتلذذ، ربما تكون شخصًا مازوخيًا كما يقولون، وربما هي فقط مجرد أنثى عاشقة لشخص شاء القدر أن يكون معذبها، عاشقة مخلصة اعتادت أن تلقي تعذيبه النفسي والجسدي بخضوع عله في يوم يبادلها مشاعرها اليائسة، أليس كافيًا أنه قبل عاقرا مثلها، لن تمنحه طفلًا يحيي ذكراه من بعده، ولكن ما يؤرقها الآن أنها وحدها من تراه، وحدها من تستطيع سماعه، لمسه، ونادرة الحديث معه، ولو كانت تخشاه في السابق فهي الآن وبكل تأكيد مرعوبة منه، لقد كان في السابق يعذبها كسبية، ثم يهدهدها كحبيبة، يستشعر قلبها أنها لم ولن تكنها، ولكنه عاد من أجلها، ألا يعني ذلك شيئًا، حسنًا ربما فقط عاد ليضاعف جرعة عذابها، وهي لن تنكر أنه قد عكف بالفعل مؤخرًا

على إرعابها، اشتعلت عيناه فجأة وهو يشير لها برأسه نحو والدتها التي اقتربت من جهاز المسجل لتشغيل القرآن الكريم كما جرت العادة في تلك المناسبات، انتفضت بسرعة عن مقعدها، تستوقفها قبل أن تصل لوجهتها، قبل أن تغضبه، فعلى إية حال هي فقط من سيسلط عليها غضبه كالعادة، كانت تصرخ بهيستيريا في وجه والدتها، لا مبالية بالنظرات الفضولية من حولهما، لا يهمها سوى نظرة الاستحسان النادرة التي يرمقها بها زوجها الآن...

- «حسنًا حسنًا لا تغضبي حبيبتي».

خرج صوتها في تلك اللحظة بهسيس غاضب، صوت ربما ليس لها، ربما صوته هو الذي بات يتداخل وصوتها، أحيانًا يمتزج بها بتلك الطريقة ومن تكون هي لتعترض، لذا تابعت وهي تشير نحو مجموعة النساء المتشحات بالسواد.

- «واصرفي هؤلاء النساء، لقد أوجعوا رأسي».

ثم أولتهم ظهرها وهي تبتعد قاصدة منفاها الاختياري، أوربما الإجباري.. بمجرد أن دلفت لغرفتها استندت بجبهتها على بابها الذي أغلقته خلفها، تلهث بقوة من الترقب، أو ربما الخوف، جسدها يرتجف كورقة تتلاعب بها الرياح، الفارق الوحيد أن حرارة الغرفة كانت أدنى من المعتاد، مما يعني شيئًا واحدًا لا غيره، شعرت فجأة بهواء الغرفة الذي أصبح ثقيلًا من حولها، وقد بدأت الشعيرات القصيرة على مؤخرة عنقها في الانتصاب، وعندها شعرت بأنامل

تسحب وشاح رأسها ليسقط حول عنقها، وقبل أن تعي ما يحدث سحب الوشاح فجأة بقوة ليضيق حول عنقها مما جعلها تجاهد لالتقاط أنفاسها، مقاومتها لم تكن تعني سوى معاناة أكبر، وسبيلها الوحيد كالعادة كان الاستسلام، دموعها رغمًا عنها بدأت تنساب من طرفي عينيها بينما تصارع لالتقاط أنفاسها بلا فائدة ترجى، فهي الأعلم بغضبه، وغضبه ليس محمودة عقباه، فجأة ارتخت عقدة الوشاح مما جعلها تشهق بصوت مرتفع وهي تميل بجسدها للأمام واضعة كلا كفيها على ركبتيها، شهقتها انتهت بسعلة قوية كادت أن تخرج معها روحها، عندما انتهت تلك اللحظات العصيبة اعتدلت وهي تدور بعينيها في الغرفة من حولها الا انه كان قد اختفى من الغرفة فجأة كما ظهر فجأة.

***

في دجنة تلك الليلة الملبدة بالغيوم أخذت تركض بلا هدى، خائفة. لا بل مرتعبة وهي تطالع شواهد القبور من حولها وكأنها أشباح تسخر من سذاجتها، فأين المفر من تلك الظلال التي تحيطها من كل اتجاه؟! صوت الهزيم يصم أذنيها ولا إضاءة تنير دربها الا من الضوء المتقطع للبرق، الأمطار تنهمر بغزارة، والأرض الموحلة تبطئ من سرعتها، بلهاث قوي توقفت وهي تلتفت حولها عندما توقف وابل الأمطار أخيرًا، فقط لتتسع عيناها وهي تلاحظ نيرانا وكأنها لظى الجحيم، تزحف بسرعة في اتجاهها، من أين اندلع ذلك

الجحيم فجأة هي لا تعلم، ولا تمتلك رفاهية التفكير في تلك اللحظة، لذا تراجعت عدة خطوات للخلف قبل أن تلتف على أعقابها وهي تطلق لقدميها العنان بقدر ما تسمح لها الأوحال بذلك، انزلقت قدماها فجأة لتجد نفسها بدون مقدمات تطير في الهواء، ثم ما لبثت أن حطت بقوة على الأرض الرطبة، تأوهت بألم وهي تحاول الوقوف من جديد، رغم أن كل خلية في جسدها الهذيل تتوسلها لتفعل العكس، ولكن الفشل اللعين كان حليفها في كل مرة تكرر فيها المحاولة متحاملة على آلام جسدها، وعندما كادت أن تنجح أخيراً وقد رفعت نصف جسدها العلوي عن الأرض الزلقة شعرت بتلك القبضة شديدة السخونة تلتف حول كاحلها، أخذت تصرخ بهيستيريا وهي تركل بقدمها الحرة علها تستطيع تخليص نفسها بينما تتراجع بجسدها للخلف، اصطدم ظهرها فجأة بحائط رخامي وعند تلك اللحظة وللمفاجأة ارتخت تلك القبضة عن كاحلها ثم اختفت في باطن الأرض، ابتلعت ريقها بتوتر وهي تستند على شاهد القبر من خلفها ثم همت بالوقوف منتوية الهروب من مصيرها المجهول، شهقة متفاجئة كتمتها بكلا كفيها وهي تطالع اسم زوجها بأحرف حبرها، السعير يبرق في عتمة تلك الليلة التي غاب عنها القمر، وعندها شعرت بجسدها يتهاوى، يسقط ويسقط ولا صوت حولها إلا من صرخاتها المرتعبة قبل أن تبتلعها حفرة من الجحيم...

شهقت بقوة وهي تعتدل جالسة على فراشها، جسدها المتعرق يرتجف بعنف وعيناها تدوران في ظلمة الغرفة من حولها بينما صدرها يعلو ويهبط بجنون وازى جنون نبضات خافقها، زفرت بارتياح عندما اطمأنت أخيراً لأن ما عايشته منذ لحظات لم يكن سوى أحد كوابيسها المعتادة وهي ترفع الغطاء عن جسدها منتوية النزول عن الفراش، صوت صرير باب غرفتها جعلها تسحب قدميها بسرعة محتضنة لهما بكلا ذراعيها وهي تتراجع للخلف حتى التصقت بظهر فراشها، جسدها يختض وهي تطالع بترقب باب الغرفة الذي يفتح الآن ببطء مميت، وصوت خفقات قلبها تطن في أذنيها حتى شعرت وكأنها على وشك فقدان الوعي، شددت من احتضان جسدها وتلك البرودة تجتاحها من جديد، أنفاسها المضطربة تشكل سحابة دخانية تعلم الآن سببها، دفع الباب فجأة بقوة ليظهر لها من خلفه صاحب الظل الطويل ذو العينين الناريتين، صرخت بقوة وهي تطرق برأسها معتصرة لعينيها علها بذلك الفعل ستنهي معاناتها، عندما لم يحدث شئ رفعت وجهها بحرص وهي تفرق ببطء بين جفنيها، ولكنها تراجعت بذعر مرتطمة بالظهر الخشبي لفراشها عندما طالعته يجاورها في الفراش، جانب شفته مرتفع بسخرية وهو يقول ببطء وأحرف ممطوطة:

- «ستبقين إلى الأبد مجرد أنثى لا تثير في الرجل سوى الاشمئزاز».

- «اخرس اخرس، ابتعد عني ابتعد أنا أكرهك».

أغمضت عينيها بقهر وهي تحرك رأسها برفض وقد تناست رعبها

السابق، لا تريد أن تسمعه يردد تلك الجملة التي تمقتها على مسامعها، لا تريد أن تسمع نبرة صوته التي تنضح سخرية واستياء من جديد:

- «بسم الله عليكِ يا رهف ما الذي أصابك ؟»

فتحت عينيها بسرعة عندما شعرت بكف والدتها الحنون مرافقة لنبرتها التي تنضح قلقًا، دققت في وجهها للحظة ثم ما لبثت أن دارت بعينيها في الغرفة حولها وهي تقول بنظرات زائغة:

- «لقد كان هنا أمي، أنا أحبه ولكني لم أعد أريده، اجعليه يرحل أمي أرجوكِ».

ثم اندفعت بسرعة لتتوسد صدر والدتها، تشهق بعنف وهي تدفن وجهها في صدرها الرحب، كطفلة صغيرة تخشى كل شئ واللا شئ.

- «من تقصدين؟»

نبرة والدتها الذاهلة جعلتها تبتلع ريقها بصوت مسموع، هل لو أخبرتها تلك المرة ستصدقها، لقد توقفت عن الشكوى بعد أن لاحظت نظرات الإشفاق التي يرمقها الجميع بها كلما أتت على ذكره، ربما تلك المرة مختلفة، ربما تلك المرة ستصدقها.

- «ياسر، إنه ياسر أمي أرجوكِ صدقيني ياسر لم يرحل».

***

تشبثت بذراع والدتها وهي تتلفت حولها برعب، قلبها يخفق بجنون بين جنبات صدرها، وخطواتها المتعثرة تهدد بإسقاطهما معًا، تخشى ظهور زوجها في أي لحظة ليحاول إرعابها وإثنائها عن ما انتوته ووالدتها، ربما ذلك الرجل صاحب الكرامات هوالجواب لكل أسئلتها المعلقة، هل حقًا من الممكن أن تكون ممسوسة؟

توقفت وكذلك فعلت والدتها عندما توقفت تلك المساعدة التي أمرتهم بالانتظار قبل أن تختفي خلف باب الغرفة التي تنبعث منها رائحة الأبخرة الخانقة، ازدردت ريقها بصوت مسموع جعل والدتها التي تعلم أنها تحاول فقط إخفاء توترها لأجلها تربت على كفها المتوسد ذراعها، فتح الباب من جديد لتخرج المرأة من خلف كومة الدخان وتشير لهم بيدها دون كلمات في دعوة استجابوا لها دون تأخير.

سعلت بقوة وهي تحرك يدها أمام وجهها علها توقف زحف تلك الضبابة الدخانية الكثيفة نحوها ولكن صوت جهوري مقبض قاطعها وهويقول:

- «اقتربي رهف».

اتسعتا عيناها وهي تتبادل النظرات الذاهلة ووالدتها، كيف بحق الله عرف اسمها، هي متأكدة بأنها لم تخبر تلك المساعدة من الأساس فكيف إذن !!!

بخطوات متردد تقدمت تسحب والدتها نحو مكان جلوسه على تلك الأريكة الواسعة المفروشة بالقماش متعدد الألوان ردئ الخامة، ترددت للحظة عندما أشار لهما بالجلوس في مواجهته ولكن بتشجيع من والدتها اتبعت أمره الصامت وجلست بتململ دون أن تترك كف والدتها التي جلست بدورها على المقعد المجاور لها تناظر الأخير بترقب ورجاء.

عكف الرجل على سؤالها عدة أسئلة وهو يدون ما لا يعلمه إلا الله، مرة تلو الأخرى في ورقة بيده حتى توقف فجأة عن سؤالها وهو يطوي الورقة عدة طيات.

أجفلت رهف وهي تشدد من قبضتها على كف والدتها عندما وقف الرجل عن مقعده فجأة وبدأ في التحرك نحوها وهويقول:

- «الآن سأطفئ ضوء الغرفة وأريدك أن تغلقي عينيكِ حتى انتهي».

ثم وأمام نظراتها المتشككة رفع سبابته محذرًا وهويستطرد:

- «اتركي يد والدتك وضعي كفيكِ على قدميكِ وإياكِ ثم إياكِ مهما حدث أو مهما رأيتِ أن تفرقي بين جفنيكِ وإلا لن أكون مسؤولًا عن العواقب».

رغم رعبها إلا أنها امتثلت لطلبه بصمت وهي تغلق عينيها، لحظات ولاحظت من خلف جفنيها المطبقين أن الغرفة قد أصبحت معتمة

تمامًا، كادت أن تقفز في مكانها عندما شعرت بكفه يوضع على رأسها ولكن زمجرة بنفاد صبر منه جعلتها تحاول تهدئة نفسها، تريد أن تفتح عينيها، حقًا تريد ذلك وبشدة، تخشى أن فتحتهما أن ترى ما لا تريد أن تراه وتخشى كذلك لو ظلت على إطباقهما أن ترى ما لا تريد أن تراه؛ فكلا الأمرين مقبض أكثر من الآخر، وما ضاعف من قلقها انها لم تسمع ما يقرأه، لا تعلم ما الذي يهمهم به فوق رأسها دون توقف، فجأة وبدون سابق إنذار رأته أمامها، وجهه شديد القرب من وجهها، وأنفاسه الساخنة تحرق بشرة وجهها، تريد أن تصرخ، أن تخبر ذلك اللعين أن يتوقف، إنها تريد فتح عينيها على الأقل، إلا أنها تذكرت تحذيره لذا التزمت الصمت وقد بدأ جسدها في الارتجاف وعيناها تدمعان من خلف أهدابها المطبقة، حتى أنها استطاعت بشق الأنفس مقاومة شهقاتها التي هددت بالانفلات، وجهه لازال مقابلًا لوجهها، يتحداها أن تصرخ، أن تعلن عن وجوده وتخالف أمر صاحب الكرامات المباشر، حتى أصبح جسدها ينتفض بعنف شديد:

- «افتحي عينيكِ الآن».

بمجرد أن سمعت بأمره فتحت عينيها بسرعة وهي تمسح وجنتيها الرطبتين، مدت يدها لتقبض على كف والدتها، تتلمس منه الدعم الذي تحتاجه الآن وهي تنتظر بترقب كلمات الرجل التي لم تتأخر وهو يقول بعد زفرة طويلة:

- «لستِ ممسوسة ولكنك قريبة من ذلك، يستطيعون الوصول إليكِ سريعًا أثناء نومك، هناك بعض الثغرات بجسدك والتي يستطيعون اختراق جسدك من خلالها وأن يتلاعبوا بكِ، سأعطيكِ سائلا أريد منكِ أن تدهني به جسدك كاملًا وآخر تشربين منه رشفة كل يوم، وبعض الأعشاب فقط كل ما ستفعلينه، إنكِ ستضعين القليل على راحة يدك ثم تفركين كفيكِ ببعضهما على أي سطح كي لا يهدر العشب، ستفركين كفيكِ ببعضهما حتى يفرغا ثم تمسحي بهما على كامل جسدك وتلملمي باقي العشب وتضعيه مع بقيته من جديد وتعيدين الكرة كل يوم لمدة أسبوع كامل.

نقلت بصرها منه نحووالدتها التي أومأت لها إيجابًا بتشجيع مما جعلها تعود بوجهها نحوه وهي تومئ موافقة بدورها.

***

الأيام تمضي وهي ملتزمة باتباع خطتها العلاجية دون أية فائدة ترجى، لم يختفي ياسر، بل على العكس تمامًا ازدادت مضايقاته التي جعلتها حقًا ترغب بكل كيانها في رحيله، لقد أضحى كابوسها بعد أن كان حبيب عمرها وهي موقنة الآن بأن بقائه في عالم لم يعد عالمه ليس لغرض سوى استنزافها كاملة، فعلى ما يبدولم يكتفي بإذلالها حيًا لذا أراد أن يمعن في إذلالها بينما هو مجرد روح هائمة على أرض الأحياء، ربما حتى تلحق به في الجحيم الذي صارت أكيدة من أنه مآله الأخير، ولكن أكثر ما يزعجها أنها باتت عصبية بشكل مفرط

وتمره أصبح لا يطاق، كلماته اللاذعة حول عقمها، ضعفها، وعجزها عن إسعاده في حياته، كيف بحق الله يكون الأمر متعلقًا بالجان هل كانوا يراقبونهم أو شئ من ذاك القبيل؟! إنه ياسر ولا غيره، صوته، نبرته، قسوته، وعباراته.

اندفعت بسرعة لخارج باب الغرفة عندما وصلها صوت والدتها المرتفع وكأنها تتشاجر مع شخص ما، صوت صراخها كان غريبًا على طبع والدتها الهادئ الرصين، ربما إحدى الجارات تحاول مضايقتها، توقفت فجأة متسعة العينين عندما لاحظت الشخص الذي تصرخ والدتها في وجهه، هل يعقل؟ هل أصبحت والدتها تراه كذلك الآن، ذلك الصراخ لم يكن شجارا إذن، لقد كانت صرخات الفزع.

اندفعت بعنف نحوه وقد طفح كيلها منه ومن نفسها على السواء، لو أراد أذيتها حسنًا فليفعل ولكن إلا والدتها، وقفت بينه وبين والدتها وهي تقول بغضب جنوني:

- «ما الذي تريده؟ تريد استنزافي، هاك افعل بي ما شئت أمعن في تدميري كما تريد ولكن إياك ثم إياك أن تزعج أمي».

همت والدتها بالحديث وقد ظهر الرعب جليًا على ملامحها، فقاطعتها بحزم برفعها لكفها وعندها سمعته يقول بنبرته الساخرة المعهودة والحقد والشراسة يطلان من عينيه:

- «ما الذي سأريده من عاقر مثلك، ما الذي سأريده من كومة من العظام لا تسمن ولا تغني من جوع ما».

كان يسترسل ويسترسل، يمعن في إذلالها بكلماته التي طالما وجهها كطعنات غادرة في صدرها، يصفها بالضعف والعجز والاتكالية، يخبرها بأنها ليست بامرأة تليق برجل مثله.

اتسعتا عيناها وهي تطالع النصل اللامع الذي يلوح به في وجهها الآن، قبضت على يده فقاومها، ليس قوياً كما كان، روحه ضعيفة على عكس جسده قبل موته، استلت السكين من يده وبدون لحظة تردد طعنته في صدره، كانت تصرخ بقوة وهي تلعنه وتلعن اليوم الذي أحبته به، تسدد له طعناتها تباعاً بحقد لم تكن تدرك أن رواسب السنين قد تنميه بتلك الدرجة، فعندما يستحيل الحب للكراهية يخسر كلا الطرفين !!!

***

- «دكتور وجدي السيد نبيل في انتظارك».

أومأ الطبيب برأسه وهو يتوجه نحو مكتبه بخطوات واثقة، عندما فتح باب مكتبه ابتسم بحبور لصديقه الصحفي الشهير الذي يعلم أنه، ورغم شهرته الواسعة، لايستطيع تفويت حدث كذاك دون أن يرضي فضوله كفضول متابعيه، رحب به كعادته بحرارة ثم أشار له ليجلس على أحد المقاعد المواجهة لمكتبه، بينما احتل هوالمقعد المقابل، كاد أن يبتسم عندما عاجله صديقه بفضول:

- «هيا ما قصتها ؟ هل هي حقًا مريضة أم فقط تدعي المرض؟»

تراجع وجدي في مقعده وهو يزفر بإرهاق ثم قال بعد لحظة صمت:

- « إنها لا تدعي المرض، بل هي بالفعل مريضة بأحد الأمراض النفسية النادرة ويدعى توهم كابجراس».

- «ماذا ؟ لم أسمع به من قبل.. حسنًا لا يهم، بالطبع توصلت لتفسير للحادث؟».

أومأ وجدي موافقًا ثم سحب نفسًا طويلًا زفره بخفوت:

- «المريضة أرملة توفى زوجها في حادث سير العام الماضي، كانت جارته وعلى ما يبدو أحبتها والدته كثيرًا، لذا طلبت من وحيدها وهي على فراش الموت الزواج منها وكابن بار لبى طلبها».

بدا الحماس على ملامح نبيل الذي مال بجسده للأمام مستندًا بذراعيه على ركبتيه وهو يحثه على المتابعة فاستطرد:

- «حسنًا يبدو أن صديقنا لم يقتنع يومًا بتلك الزيجة التي فرضت عليه خاصة بعد وفاة والدته، مما جعله يبدأ في تعذيبها نفسيًا وجسديًا، ولكنها كانت تحبه حبًا على ما يبدو من طرف واحد، والدتها قالت بأن ذلك كان بسبب عقمها وكلمتها تلك استوقفني، فما الذي يدفع رجلًا يكره زوجته لدرجة استنزافها نفسيًا بتلك الطريقة للإبقاء عليها، ولكن المفاجأة التي كانت في انتظاري عندما استفسرت عن

خلفيتها العلاجية هي أنها ليست عاقرا، بل على ما يبدو أن زوجها هو الذي لم يكن قادرا على الإنجاب».

ظهر التأثر على ملامح نبيل وهو يفرك مؤخرة عنقه بتفكير ثم رفع عينيه بعد لحظات متسائلاً:

- «وما علاقة مرضها ذاك بقتلها لشقيقتها؟»

- « حسناً توهم كابجراس هو توهم مرضي يرى فيه المريض أحد المقربين من محيطه أو ربما أكثر من شخص في صورة شخص آخر، شخص يريد أن يؤذيه، وفي تلك الحالة كانت ترى زوجها في شقيقتها، وذلك ما فسره حديث والدتها، النظرات المرتعبة التي كانت ترمق بها شقيقتها كلما حاولت مواساتها أو الحديث معها، صراخها بكلمات لم تكن ذات معنى في وقتها، حتى أنها في إحدى المرات أصابها كابوس ما وعندها أسرعت شقيقتها تحاول تهدئتها فوجئت بارتعابها وتراجعها في الفراش قبل أن تصرخ بها لتغادر الغرفة وهي تحادثها بصيغة المذكر، في ذلك الوقت لم تكن المريضة تسمع صوت أو كلمات شقيقتها أو حتى تراها، لقد كانت ترى زوجها، تسمع صوته، وعباراته التي طالما أعادها مرارًا على مسامعها».

حرك نبيل رأسه متفهمًا بشرود، يحاول أن يستوعب كل تلك المعلومات المفاجئة دفعة واحدة:

- «حسناً وماذا عن يوم الحادث، ما الذي دفعها للقتل؟»

هنا زفر وجدي بإرهاق وهو يقف بعيدا عن مقعده بينما يعدل بسبابته نظارته الطبية وهو يدور حول مقعده الذي استند على ظهره أخيرًا بكلا كفيه وهو يجيبه:

- «وفقًا لحديث الوالدة أنها كانت تصرخ بابنتها الأخرى لأنها كانت تقشر ثمرة البطاطا بطريقة خاطئة، وفوجئت بالمريضة الغاضبة التي هاجمت شقيقتها فجأة بصراخ وجمل غير منطقية، وفي الأخير سحبت السكين من بين أناملها وبدأت في طعنها مرارًا وهي تصرخ بهيستيريا، وحتى الآن رهف مقتنعة بأن من طعنته هو زوجها العائد من الموت».

ظهر الانزعاج الشديد على ملامح نبيل الذي حرك رأسه وهو يقول وكأنه يحادث نفسه:

- «مسكينة تلك الوالدة لقد فقدت كلا ابنتيها في غمضة عين».

لم يكن في استطاعة وجدي سوى الموافقة على كلمات صديقه؛ فقد أنهكت قواه تلك السيدة حتى استطاعت أخيرًا الحديث بعد أيام من الحادث.

***

- «حسنًا رهف لابد وأن تتناولي دواءك، لا ترغميني على إجبارك».

رمقتها رهف بلا مبالاة في بادئ الأمر، إلا أن تلك اللامبالاه لم تدم طويلًا وملامحها تتبدل فجأة للشراسة، ابتلعت الممرضة ريقها

وهي تتراجع للخلف كرد فعل تلقائي على تقدم المريضة الغاضبة في اتجاهها حتى ارتطم ظهرها بباب الغرفة المغلق، عقدت بين حاجبيها عندما تنبهت فجأة لأن المريضة لم تكن في الواقع تنظر نحوها، إنما باتجاه حمام الغرفة المجاور لمكان وقفتها السابقة، تتبعت الممرضة اتجاه نظرات رهف لتشهق فجأة واضعة كلا كفيها على فمها، وهي تطالع ذلك الكيان الداكن شديد الطول الذي ظهر من العدم، تريد أن تصرخ، إلا أن صوتها لم يخرج، ظلت فقط تحدق في المشهد المرعب أمامها بعينين متسعتين وفم مفروغ عن آخره أسفل كفيها وقدميها وكأنهما مثبتتان في الأرض لا تقوى على تحريكهما، حركت رأسها برفض لما تراه واضحًا لا التباس فيه أمام عينيها، التفاتة مفاجئة نحوها من ذلك الكيان المرعب الذي قطع حرب النظرات بينه وبين المريضة جعلتها لا إراديًا تضح يدها على المقبض الذي كانت قد نسيته من هول المشهد أمامها، مدفوعة بخوفها وتدافع الإدرينالين في دمائها، أدارت المقبض بسرعة ثم أطلقت لقدميها العنان، تركض في طرقات المشفى صارخة وقد وجدت صوتها أخيرًا، تركض بلا وجهة حقيقية وكأن الشياطين تطاردها.. أو ربما كانت بالفعل!!

***

الفهرس

دسوقي «د. منى عطار» ٥

ما حدثَ وما سيحدث «منار خليل» ١٥

بين الواقع والخيال «شروق صالح» ٣٥

بقايا موت «سهير عدلي» ٥٣

إرادة الإله «فاطيما أبو زيد» ٧٣

الملكة باستت «إيناس العراقي (maizada)» ٨٩

شيطان بقرون «نسمة السبكي» ١١١

سيظَلُّ ظِلًّا «هدير السيد» ١٢٩